

الملخص

من الجميل أن تكون حبيبا ولكن الأجمل
أن تكون حبيبا ومحبوبا ..ليس من العدل
ان تقابل بالرفض..
كيف يمكن ان تعطى وتهب بلا مقابل؟ إن
الحب الذى يحمل معنى العطاء فهو فى
جوهره وذاتيته أنانيه وتملك
كل خطوه خطوتها من اليوم الذى رفضت
فيه حبى كان هدفها ان اجعلك تشعر
بالندم لما اقترفته بحقى وإهانة مشاعرى
والايام كفيله

الإهـــداء

إلى بيدا الإنسانة الأروع على الإطلاق ، التي غمرتني بلطفها وعطفها، أنتي فنانه بكل ما تحمله الكلمة من معنى تتمتعين بالذوق والحس المرهف ، ولو أتيح لي الاختيار ما تمنيت أفضل من هذا التصميم الرائع، سعدت بالعمل معك ولكن سعادتي الأكبر كانت بقربى منك وتعرفي إليك

إلى منوليا التي لم تمنع المسافات ولا الحدود من تألف أرواحنا وأن تتلاقى عقولنا، إلى الأخت قبل الصديقة، لولاك ما ظهرت الرواية بالشكل اللائق يا رب ما أحرم منك منوليا وجودك في حياتي هو الأروع

إلى zazaza

بيضاء القلب والنفس والروح، صديقتي الرائعة التي لطالما زرعت البسمة على شفتاي

الإهـــداء



BY BEDA & ELENA



الفصل الأول

كثيرا ما حلمت بان أكون سندريلا . . نعم تلك الفتاه الفقيرة في الحكاية الخرافية، وأن أجد طريقي للقصر أو أن امتلك تلك العصا السحرية، أو المصباح السحري وعلى غير ذلك من الحكايات التي لطالما سمعتها، وشاركتني أحلامي طوال سنوات طفولتي، ولكنني لم أصل إلى أي مكان كنت احلم به، سوى هذا المكان.

المكان الذي يطلق عليه الأثرياء دار النقاهة والاستشفاء، بينما الاسم المتعارف عليه هو مستشفى الأمراض النفسية والعصبية، ويطلق عليه العامة " مستشفى المجانين "

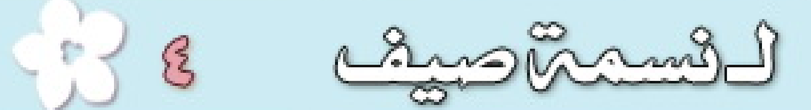
لا تندهشوا كثيرا . . نعم إنني النزيلة، أعني المريضة ٣٦٥ بمستشفى المجانين، وسبب وجودي في

وهم أنثى ... "

المستشفى المدون بالملف الخاص بي هو اكتئاب حاد وفقد الرغبة في الحياة، بل ومحاولة الانتحار

أنا جميله . . هذا هو اسمي، بالرغم من انه ليس اسما فقط، فهو شكلا وهيئة، ولطالما كنت مثار حسد من الأقارب وصديقاتي وإمارات التعجب بادية على وجوههم من شدة الجمال الذي احمله. كيف يعقل لفتاه ذات أصل متواضع مثلي أن تمتلك كل هذا الحسن والفتنه؟

وأنني أشبه الأميرات بملامحي الجميلة، والبشرة البيضاء الصافية التي لا يشوبها شائبة، والعينين الزرقاوين والأهداب الكثيفة الطويلة، وفمي الصغير الكرزي وشعري الأشقر الطويل المتدلي إلى أسفل ظهري، وامتلك قوام يشبه قوام عارضات الأزياء .



الفصل الأول

عمري ٢٧ سنه ودرست الفنون ومتزوجة، ولي ابن لم أراه منذ ٥ سنوات هي مدة إقامتي هنا . . ابني اسمه يوسف أسميته باسم الرجل الوحيد الذي أحببته وعشقته . . لمجرد أن اردده باستمرار فلأتذكره، ولقد كان قلبي يردده بين ضلوعي قبل أن ينطقه لساني.

كان غرام طفله ومراهقة طائشة تتعلق بشي ولا تريد تركه، إلا انه اخذ يكبر ويكبر ونضج معي حتى أصبحت أسيرته لوحده . . هو ابن الجيران

لم اعد أذكر حتى متى أحببته!! كأنني أحببته الدهر كله، كل شيء فيه كان يثير اضطرابي ويجعلني ارتجف، لا اعرف ماذا افعل عند رؤيته حيث تبدأ نبضات قلبي بالتسارع ويبدأ وجهي ينخطف ويفقد لونه الأبيض البراق، وشفتاي تفقد حيويتهما .

كل هذا يحصل لي عندما أراه وانظر إلى عيناه .

وشيئا فشيئا بدأ يسكن أحلامي ويسرق مني صحوتي، ولا زالت ملامحه محفورة بذاكرتي لا أنساها مهما مرت بي السنين .

شعر أسود كثيف وذقن مستديرة، انف مستقيم، عينان واسعتان داكنتان برموش كثيفة سوداء . . طويل القامة . . عريض الكتفين. و كل ما فيه كان ينطق بالجاذبية والرجولة التي تنضح بلا توقف .

أجلس طوال النهار على هذا الكرسي الخشبي بحديقة المستشفى في ظل الشجرة الوارفة وأسمع تغريد العصافير، فهذا هو الدليل الوحيد على أنني ما زلت أحيا .

أعيش مع ذكرياتي . . فهي الشيء الوحيد الذي



الفصل الأول

تبقى لي، أستمد قوتي منها وأضيع في تفاصيلها وأحداثها وماضيها . . بكل الأحوال أنا بقايا إنسان .
جلست وأنا ألف حولي معطفي الصوفي، حزينة أنظر من الشرفة في هذا الجو البارد القارص حتى كدت أتجمد، كل ما كنت أريده وأتمناه هو أن ألمحه فقط وأعود أطمع أكثر بالكلام معه وأن أهنئه بعيد مولده .
فأخي أحمد صديق يوسف ورفض اصطحابي لعيد الميلاد، بحجة أن كل الحاضرين من أصدقائهم من الشباب فقط، ولا يجوز لفتاه الحضور فهذا سوف يكون شيئا مستهجنا وغير مقبول, ولما انتابني اليأس خرجت من باب الشقة وجلست على السلالم وكنت كاتمة حزني وألمي واشتياقي لرؤيته،فقد بكيت بصمت خوفا من أن تراني والدتي وتسألني عن سبب بكائي

ولا امتلك إجابة للرد عليها . . وبعدها انتبهت إلى نفسي عندما سمعت صوت أحدهم يرتقى السلالم، ومسحت دموعي المتناثرة على وجنتي، ورأيت من خلال دموعي يوسف قادم بجماله وجاذبيته وكأن كل شي في المكان انحنى إليه وخجل لجماله، رأيته يتقدم نحوي وكان يحمل بيده طبق واقترب منى وألقى السلام على وجلس بجانبي .
كنت عاجزة عن الكلام، وكانت أنفاسي متقطعة ووجنتاي متوردتين، وشعرت بالخجل يغمرني لا اعرف ماذا أقول، تجرأت قليلا ورفعت وجهي إليه كانت نظرته حانية. قطع الصمت الذي بيننا وقال :
" لقد أحضرت لك قطعه من الكعكة "
"كل عام وأنت بخير . عسى الله أن يمن عليك هذا العام

الفصل الأول

بتحقيق أمنياتك "

" وأنتي طيبه. وأن تتحقق أمانيك أيضا "

ابتسمت وتمنيت من كل قلبي أن يستجيب الله له،

كنت أتمنى أن أقول له وأن أعترف في لحظة جنون

وضعف أنه هو أمنيتي الوحيدة التي أتمناها، كنت

أطالعه بشوق عارم وكادت نظراتي تفضحني . .

أحسست بتوتره. كم أنا غبية، ترى ماذا سوف يقول

عنى الآن؟! سوف يأخذ عنى أفكار خاطئة!! قام من

مكانه مسرعا وقال لي :

" ليله طيبه يا جميله "

ورددت عليه، وأنا أنظر إلى الأرض وأشعر بالخجل منه

" ولك أيضا "

وابتعد عن ناظري وأكملت الجملة: " يا حبيبي "

وهم أنثى ... "

دخلت من باب الشقة وأنا بالطبع أطير من سعادتي، لقد

أتى لكي يراني واحضر لي حصتي من كعكه عيد

ميلاده، لقد ترك أصدقائه!! لم يكن ليفعل ذلك لو لم

يكن يحبني .

بعدها خرجت للشرفة أطالع نافذة غرفته. وبعد لحظات

سمعت والدي ينادى باسمي، فأقفلت الشرفة بسرعة

وذهبت لوالدي.

والدي موظف حكومي بسيط، ووالدتي ربة بيت لا

تعرف في هذه الدنيا إلا بيتها وأولادها، تشعر بالرضي

ولكن من حين لآخر تظهر التمرد، حيث تبدأ في

المقارنة بين حالها وحالة أختها . .

خالتي منى . . والتي تزوجت من تاجر ثرى وسعيدة

بحياتها ولا تواجه صعوبات من أي نوع وأولادها . .

الفصل الأول

. . لبنى . . التي لطالما كانت أختي وصديقتي
وفريد . . الابن الكبير لخالتي، يعمل محاسبا بأحد
البنوك، لطالما كان معجبا بي لدرجة كبيرة. ليتني
أحببته! كان من الممكن أن أكون سعيدة بدلا من
الشقاء الذي أعانيه بحبي الصامت . . أشعر دائما بأن
هناك من يراقبني ولكنني لا أستطيع أن أراه .

طوال ٥ سنوات التي قضيتهم هنا لم أتكلم أبدا، ألتزم
الصمت دائما رغم المحاولات المستميتة والمضنية من
الأطباء والممرضات وحتى المرضى لكي يدفعوني
للتكلم، ولكنني لا يجب أن أتكلم، يجب أن أوحي
للجميع بأنني استسلمت للواقع المرير لكي أتمكن من
الخروج ذات يوم وان أرى ابني. وحتى لو قلت
الحقيقة فلن يصدقني احد، لذا فان أفضل شيء افعله

في هذا المكان هو الصمت .

اقتربت الممرضة مني وكانت جميلة جدا وطويلة،
ترتدي ملابسها الملائكية وشعرها المتموج يتراقص على
كتفيها . . جلست بجانبي وألقت عليّ تحيه الصباح، لم
تشعر بالملل أبدا وهى تسألني كل يوم وهذا اليوم عن
حالي، وأنا دائما لا أرد. أخذت أتأملها بلباسها الأبيض
النظيف ووجها المبتسم، اسمها روحيه، سيدة طيبه كلما
نظرت لعينيها أشعرها بالعطف على وأسمعها تكلم
زميلاتها أحيانا وهى تتأسى على حالي، وأنا الجميلة
الشابة الغنية، وأنني لازالت صغيره على الجنون .

قالت لي الست روحيه :

"هيا حبيبتي، تعالى معي. الدكتورة ناديه تريد رؤيتك
من اجل جلسة العلاج "

الفصل الأول

قمت معها وسمحت لها أن تقودني في طرقات المستشفى الكئيب بلونها الأبيض وطرقاتها العديدة وأبوابها الموصدَة والمفتوحة حتى وصلنا للمكان الذي كنا نبغاه. طرقت روحيه الباب ودخلنا، فوجدت الدكتورة ناديه جالسه خلف مكتبها مرتدية زيها الأبيض، هادئة وهي تنظر إلى كومة من الأوراق موضوعة أمامها، ولما رأتني قالت لروحيه :

" أذهبي أنتي الآن، وعند الانتهاء سوف أستدعيك "

وخرجت روحيه وأغلقت الباب خلفها، وطلبت منى الدكتورة ناديه الجلوس وبدأت تسألني

" كيف حالك اليوم جميله، هل تشعرين بالتحسن؟ "

لم أرد . . اكتفيت بالنظر إلى الأرض، فأنا دائما التزم الصمت .

دكتورة ناديه سيده جميله بقوامها الجميل، وعيونها الذهبية وشعرها الأسود الطويل. أرمله . . زوجها توفى في حادث سيارة منذ سنتين، هذا ما سمعته من الممرضات وهن يتهامسن حولها .

كانت تكلمني وكنت أتأملها دون أن أرد، وقطع حديثها طرقات الباب، وبعد لحظات انفتح الباب ودخل دكتور سامح. يا إلهي!! كم أكرهه، كان يكلم دكتورة ناديه ونظره لا يفارقني أبدا، فهو دائما ينظر إلى نظرات لا تريحني. وأخذ بعض الأوراق من الدكتورة وخرج .

"أنتي محظوظة يا جميله، احد الأطباء المشهورين قد انضم لفريق العمل بالمستشفى، وهو سوف يباشر حالتك. وأتمنى أن يحقق ما عجزت أنا عنه "

نهضت من مكاني واقتربت من النافذة أنظر للحديقة،



الفصل الأول

وطرق الباب مرة أخرى. لم أنظر، كنت أتمنى أن تنتهي هذه الجلسة حتى أعود إلى حديقتي. دخل شخص ورحبت به دكتورة ناديه .

" هذا شرف لنا دكتور يوسف بانضمامك لنا "

كانت ناديه تتكلم برقه متناهية، يبدو أنها تحاول أن تلقى بسحرها على الوافد الجديد !!

" الشرف لي أنا يا دكتورة بالعمل معك "

كان هذا هو الطبيب !!

الصوت الذي سمعته لا يمكنني نسيانه

أدرت وجهي لأرى الطبيب، وهمست بيأس قائل :

" يوسف .. !! "

الفصل الثاني

للحظه واحده . . . لحظه واحده فقط أختلط على الأمر، لم أستطيع توضيح هذا الصوت الذى أسمعه!!

هل هو حقيقة فعلا؟!! أم حلم؟

أم صوت ألفه عقلي وقلبي، وشاركني أحلامي حتى صار هاجسي !!

كان يتبادل الحديث مع الدكتورة ناديه دون أدنى إشارة إلى وجودي، كما لو أنني شبح خيال . . .

شخص غير مرغوب فيه

كنت أريد أن أهزه بقوه . . . أو أصفعه بعنف . . . أو أرمي بنفسي بين ذراعيه . . . أو أقتله ..

أو أقتل نفسي قبل أن أمسه بأي أذى!! كان يوسف في منتهى الأناقة، بطوله الفارع وبدلته السوداء .

أعطته دكتورة نادية الملف الخاص بي . أخذه وجلس

على الكرسي وبدء يتصفح أوراقه بتمعن، كان جذاب وهو يقلب أوراق الملف، قلبي بدء يخفق وأحسست بدمعتي استعدت للنزول، فهذا حبيبي!! معي في نفس الغرفة ولكني لا استطيع أن أضمه بين ذراعيَ!! رن هاتف دكتورة نادية وبدأت بالرد عليه .

في هذه الأثناء نهض يوسف من مقعده بهدوء وأقترب منى، وأزاح خصلة من شعري التي كانت تتدلى على وجهي وأعاد ترتيبها وراء أذني وهمس :

" أنظروا من هنا!! ميلا الصغيرة "

ميلا هو اسمي الطفولي!! الذي أعتاد أن ينادني به عندما كنا صغارا، كان خاصا به فقط. لم ينادني به احد غيره !!

انتفضت من جراء لمسته وتراجعت للوراء، ونظرت

الفصل الثاني

إليه نظرة امتزجت بالحب والحنان والغضب والانتقام.
أنهت دكتورة ناديه المكالمة، وعادت للحديث مع يوسف الذي كان يصغى باهتمام، وهو ما زال يقف بجانبي.

كانت عيناها تلمع ببريق الإعجاب، وكانت تحاول جاهده أن تخفي إعجابها. فتارة تمسك بخصلات من شعرها وتعبث بها، وتارة أخرى تمسك قلمها بعصبيه وتحركه بين أصابعها.

عاد إلى الكرسي وجلس وفتح الملف مرة أخرى، كان منهمك بقراءته وبين حين وآخر يرفع وجهه عن الأوراق ويلقى إليها بإحدى ابتساماته الساحرة، أو نظرة من نظراته المثيرة الغامضة.

مسكينة بالفعل دكتورة ناديه!! لن تشعر إلا وقد أطبق

عليها هذا الفخ الجذاب الساحر،
كما لو أنها أمام بحر من الرمال المتحرك الناعمة المثيرة، تغريها للغوص فيها ومن ثم الهلاك !!
هذا هو معنى أن تحب . . . يوسف.

كنت أراقب حديثهما، وهي تزوده بكل المعلومات الخاصة بي . . . وبعدها استأذنت لتقابل مدير المستشفى بخصوص إحدى الحالات. نهضت واستأذنت من يوسف وخرجت وقد أغلقت الباب خلفها.

نهض يوسف من مكانه واتجه صوب الباب ليتأكد من كونه مغلقا. كانت ضربات قلبي تزداد مع اقترابه مني . جلس بمقعده ونظر إلى وقال:
" العالم كبير والدنيا صغيرة . . . ما رأيك بهذه المقولة؟ "

لم أرد عليه والتزمت الصمت.

الفصل الثاني

تغيرت ملامحه وبان عليه الغضب، وقطع المسافة التي بيننا في خطوه واحدة، وأمسك وجهي بيديه يجبرني على رفع عيناي والنظر إليه .

" توقف !!"

همست وقد بدأت أرتعش، وأحسست بنبضات قلبي عاجزة عن الاستمرار، فيما تلاحقت أنفاسي وبدأت أختنق لما يعتمر بداخلي من جراء نظراته. ابتعد قليلا مما جعلني أتنفس الصعداء براحة ثانيه .

"إذا هذه هي الطريقة المثلى لحثك على الكلام !!"

قال يوسف .

استجمعت شجاعتي، ورفعت رأسي ونظرت لعينيه مباشرة :

"لماذا أتيت إلى هنا؟! الطب النفسي لم يكن مجال

اختصاصك "

تجاهل كلامي، وقال لي :

"اختلاف كبير بين هيئتك الآن وبين آخر مره التقينا فيها، ألا تذكرين؟ "

" كيف لي أن أنسى!!"

كنت أحدث نفسي، كان عزائي الوحيد . . كنت بكامل الأناقة ومحاطة بحب زوجي ودعمه، أو هكذا ظننت .

كان حفلا ضخما أقامه زوجي بمناسبة إتمامه إحدى الصفقات الناجحة، وكنت قد ارتديت ثوبا حريري أسود طويل، يظهر منحنياتي الجذابة، له فتحه من الصدر على شكل قلب . . وانتعلت حذاء ذو الكعب العالي اسود اللون . . وقد رفعت شعري إلى الوراء، جاعلة بعض الخصلات تسقط على كتفي العاري قليلا ولقد حرصت على دعوتك، كنت قد طلبت من

الفصل الثاني

أخي أن يقوم بدعوتك وحضرت ومعك زوجتك الروسية آنيتا .
وقمت بالترحيب بكم وانسحبت، والغيرة تنهش قلبي. ذهبت للتحدث مع فريد ابن خالتي الذي كان يشكو لي من الصراع الدائم بين خالتي وزوجته علياء، وشعرت بالعطف عليه فوضعت يدي على كتفه وربت عليها. فامسك يدي وقربها من فمه وطبع قبله عليها .
رفعت وجهي فتقابلت أعيننا، كنت تنظر إليّ بمنتهى القسوة نظرات مليئة بالحقد والمرارة، كنت تبدو غاضبا وكسرت الكأس بين يديك من فرط الضغط عليه. لم اشعر بنفسي إلا وأنا أحضر منديلا لأضمد جرحك، وبسرعة أخذته منى آنيتا وشعرت بالخجل وخيبة الأمل .

قام يوسف بإحضار فنجان من الشاي، وعندما قام بإعطائه لي تلامست أيدينا، انتفضت من جراء لمسته فوقع الفنجان من بين يدي وانكسر، فانسكب جزءا منه على ملابسه. فصرخ وهو يتأوه من شدة الألم، وكاد قلبي يتمزق لألمه وأسرعت إلى المبرد الصغير الموجود بالمكتب، وأحضرت زجاجه صغيره باردة ووضعتها على موضع الحرق، كان متألما بشده:
" أنتي كارثة حقيقية تمشى على الأرض "
" أنا اعتذر منك . . . لم يكن هذا متعمدا إطلاقا "
"هذه ليست السابقة الأولى، فلقد اعتدت منك على مثل هذه الحوادث!! أما زلت تذكرين؟ "
بدأ يضحك وهو يتوجع من الألم، ولم أتمالك نفسي من الضحك أيضا عندما أشار إلى الماضي.
وبدأت أسترجع تلك الذكرى .
عندما أرسلتني والدتي لجمع بيض الدجاج من

الفصل الثاني

فوق سطح منزلنا، وأنا أرتقي السلم بشوق وأشكر حظي السعيد للفرصة التي حصلت عليها لرؤيته، فوجدته واقفا بالشرفة كان ينظر باتجاهي ويشير بيديه، ولكن ليس لي!! ودققت نظري ووجدته يشير لشيرين أبنه الجيران!! منزلهم ملاصق لمنزلنا، وشعرت بالغضب الشديد وكانت دموعي تنهمر دون أن أستطيع إيقافها ولم أشعر إلا بنفسي وأنا أقذفه بالبيضة تلو الأخرى. تارة تصيب ملابسه، وأخرى وجهه، وأخرى عينيه .

شعرت بالسعادة قليلا لأنه قد نال الجزاء الذي يستحقه، ولم يتبق معي سوى بيضتين، فقمت بكسرهم على ملابسي ونزلت لوالدتي وتصنعت البكاء وأنا أدعى أنني تعثرت ووقع البيض من يدي وانكسر .

وقامت أمي بتهدئتي وقالت: " لا عليك حبيبتي " ابتعدت عنه وذهبت إلى النافذة، وسألته: " لماذا أتيت إلى هنا؟ "

وقف ورائي وقال :

"الطب النفسي لم يكن بالفعل مجال تخصصي، كنت قد التحقت للعمل بمنظمة أطباء بلا حدود وذهبت للعمل بأفريقيا، وهناك تعرضت آنيتا لفيروس مميت وخسرتها "

"آسفة لخسارتك كثيرا، لابد انه كان أمرا صعبا عليك"

"أتعرفين ما هو الأصعب؟! أن يحبك إنسان ولا تستطيعين أن تبادليه المشاعر، أو أن تهبيه السعادة. آنيتا أحبتني بكل جوارحها، وأنا لم أتمكن يوما من إسعادها. حتى عندما أنجبنا طفلة وقد أسميتها . . . أسميتها جميله. كنت بحاجه إلى جميله أخرى بحياتي، لقد كنتي أجمل أحلامي . . . أو أسوأ



الفصل الثاني

كوابيسي. والآن، حان وقت تصفية الحساب. وأعدك لن يكون بالسهل أبدا "

لم أجرؤ على النظر إليه، فأمسكني من ذراعي وأدارني بقوه لكي أقف أمامه، ولكنى تراجعت فوقعت فوق المكتب، واصطدمت يدي بآلة فتح الخطابات والرسائل، وقمت بأخذها دون أدنى تفكير أو تردد وأخفيتها بين ملابسي .

"سأضع حدا لهذا . . . سأضع نهاية لكل هذا . . . نهاية لحياتي "

وهم أنثى ... "

نهاية الفصل

الفصل الثالث

عندما اصطدمت يدي بآلة فتح الخطابات والرسائل، أخذتها دون أدنى تردد أو أى تفكير . . . لقد كنت أريد أن أضع حدا لمأساتي . . . لقد طفح بى الكيل!! يكلمني عن معاناته متناسيا آلامي!! ماذا عنى أنا؟! إذا كان هو عاش الجحيم، فأنا فيه من الأصل . أخفيتها بين ملابسي واستجمعت شجاعتي واستدرت إليه لمواجهته .

نظر إليَ مطولا، وخفت من أن يلاحظ اضطرابي، فلطالما كان قادرا على فهم ما يدور بداخلي بمجرد النظر إليه .

"أنت قاسى متعجرف مستبد، كل ما تعانيه الآن تستحقه. هذا جزاء أحكامك الظالمة بحقي، كم رجوتك لتسمعني!! ودافعت عن نفسي وأقسمت لك

لم يكن لي أي علاقة ولم أعشق بحياتي احد غيرك. ولكنك لم تسمع دفاعي، ورأيت ما أردت رؤيته، بل وارتبطت بشيرين. هل تعرف شعوري يوم خطوبتكما؟! لم اكف عن البكاء. لم أكن اصدق ولكنني تظاهرت بالقوة واللامبالاة، وكلما انتهيت من ارتداء ملابسي وقمت بوضع المساحيق لكي أخفى آثار البكاء، شرعت بالبكاء من جديد إلى أن تمالكت نفسي أخيرا. وذهبت وأنا أشعر أنني أودع روحي إلى غير رجعه. ولم اعلم أبدا إن نقطه النهاية، سوف تكون بداية ثانيه لي "

"هناك رأتني توحيده. كان لها أكثر من ١٥ عاما دون إنجاب وتمتلك كل شيء المال والمركز الاجتماعي، وحب الجميع واحترامه "

"ورأتني، وبمجرد النظر إلى عرفت وفهمت معاناتي . . . اقتربت منى وواستني، وأخبرتني عن مأساتها

وعن اشتياقها هي وزوجها لوجود طفل "
"شعرت بمعاناتها وآلامها. وبعدها عرضت عليّ أن
أتزوج من زوجها وأعيش معهم وأنجب طفل لهم، وان
أحظى بكل ما أتمناه وان أنساك. شعرت في البداية
بسخافة العرض، ولكن بعد تفكير عميق وافقت "
"أردت بداية جديدة. كانت توحيده هي السيدة
الثرية، ورثت كل هذه الثروة عن والدها، بينما عصام
لم يكن يمتلك شيئا، وكان أصغر منها. أعطته كل شئ
وأصبح رجل غني ويمتلك الشركات، ولكنها لم تنجب"
"وافقت، نعم، وافقت. كانت مقايضه عادله والأهم،
كانت وسيلتي للابتعاد ونسيانك "
كان يوسف يستمع إليّ ويرمقني بنظرات مليئة بالكره
والاحتقار .

وبالنهاية أنا هنا، لم أحصل على شيء. وحيدة
دون ابني، في نظر الجميع أنا مجنونة . . . مجنونة"
وبعدها صرخت حتى تلاشى صوتي، كنت منهارة
تماما .

أقترب مني يوسف مسرعا وحملني واحتضنني،
أخذت أضربه بعنف لم أكن أريده أن يلمسني،
كنت اصرخ .
"لقد طفح بى الكيل، ابتعد عنى أكرهك، أكرهك "
وبعدها أخرجت آلة فتح الرسائل والخطابات،
وابتعدت عنه وقلت له :
"لن تستطيع أن تؤذيني مجددا . . . لن أسمح لك،
سوف أقوم بإنهاء حياتي أمامك الآن"
أصبح وجهه شاحبا يشبه وجوه الموتى، حاول
الاقتراب منى ولكنني قلت له :
"إن حاولت الاقتراب، سوف أقوم بقطع شرايين

يدي الآن. حاول فقط، سوف ترى أنني جادة "
أبتعد يوسف قليلا وقال :
"ميلا لا . . . لا . . . لا تفعلي، ليس من أجلي. بل من اجل ابنك، ألا تريدين رؤيته مجددا؟ "
"ابني يعيش بسعادة مع والديه، وأنا فقدت كل حق عليه بوجودي هنا. أنا حياتي انتهت بدخولي هنا، ويبقى أن أنهيها فعلا. لن أعطيك الفرصة مطلقا لكي تستمتع بإذلالي، وان تستمر بظلمك لي "
"ميلا أنا احبك، أحبك. ولا أنوى مطلقا أن أؤذيك أو أهينك "
" كاذب . . . كاذب، أنت لست سوى كاذب "
" إذن لن تكوني الوحيدة التي تفارق تلك الحياة "
وأكمل بصوت أجش : " أنا . . . أنا لا يمكنني العيش

مطلقا بدونك. ووجودي هنا لم يكن بمحض الصدفة، كنت اعلم بوجودك. وبالرغم أنني تلقيت عروضا أفضل بكثير للعمل بأكبر المشافي. لكنني لم يعد بإمكاني الاستمرار. ولم يعد بإمكاني الإنكار "
وجلس على أقرب كرسي
" لم يعد يهمني الماضي، لقد كرهت الابتعاد عنك "
" كيف التحقت للعمل هنا؟ "
"بعد موت آنيتا تركت أفريقيا، وعدت أنا وابنتي ودرست الطب النفسي، وسافرت مره أخرى لأوروبا. عملت قليلا واكتسبت خبره بهذا المجال، كنت أحاول النسيان . . . نسيانك!! ولكنني عندما كنت أقوم بنسيانك، كنت أنسى نفسي . . . أتلاشى، وجودك أضعفني . . . وبعادك دمرني . . . قتلني. نعم، لم أعد احتمل المزيد. والآن تريدين الابتعاد عني!! تريدين قتل نفسك؟! اقتليني أولا "

الفصل الثالث

"حتى وأنت تمنعني عن الانتحار تتكلم عن معاناتك!! عن نفسك!! أنت أناني، كل ما يهمك أنت. وأنت فقط . . . يكفي . . . يكفي، لن أسمع مجددا لترهاتك. لقد اكتفيت "

وأمسكت آلة الخطابات والرسائل وقربتها من يدي .

لا اعلم كيف أصبح يوسف خلفي مباشرة، يمسك بإحدى يديه يدي وبيده الأخرى يحاول انتزاع الآلة من يدي .

ولكنني لم أرد إعطاءه إياها، نعم . . . كانت هي هدفي، وسيلتي لإنهاء كل تلك الآلام التي أشعر بها لقد استنزفتني تلك الآلام، لم يعد بإمكاني الاحتمال.

كنت أتمسك بها بشده، وفجأة شعرت بشيء يجرى على يدي، ونظرت فوجدت دم . . . كان هذا دم

يوسف!! لقد جرح يده وهو يحاول أخذها دون أن يتأوه . . . صرخت عند رؤية الدم يغطى يده

" يوسف، يوسف يدك . . . يدك مغطاة بالدم "

نزعت الشال الذي كنت أرتديه وقمت بإحاطة يداه به، وفتحت الباب وأنا أركض بطرقات المستشفى.

وجدت الممرضة روحيه أمامي مباشرة .

" روحيه . . . روحيه، الدكتور يوسف مصاب "

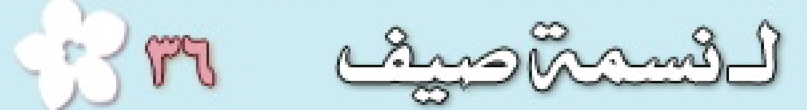
كانت تنظر إلى بذهول تام، لا أعرف ما إذا كانت علامات الذهول على وجهها كانت بسبب فزعي أم بسبب أنها ولأول مره منذ ٥ سنوات تسمع صوتي!!

" اهدئي . . . اهدئي، سوف نقوم بجلب المساعدة"

تركتها وعدت ليوسف. كان جالسا على الأرض مغمضا عينيه .

" يوسف...يوسف، هل تسمعني؟!سوف تكون بخير "

وأمسكت برأسه ورفعتها ووضعتها على رجلي،





الفصل الثالث

وضغطت بيدي على الجرح حتى أوقف النزيف وبعدها جاءت دكتورة ناديه ودكتور سامح قاموا بنقله، وعندها أردت الذهاب معه .

كل ما كنت أريده . . . أن أكون بجانبه وان أضمه وأشعره بالأمان . . . الأمان الذي أستمده أنا منه نعم . . . أنا فى حاجه إليه!! كل تلك السنوات الماضية كنت بانتظاره .

قاموا بإعطائي مهدئ واصطحبتني روحيه لغرفتي كنت أشعر بالقلق الشديد . . . سمعت بعدها طرق الباب وبعدها أنفتح الباب، كان هذا دكتور سامح الذي دخل وأغلق الباب بسرعة .

كان ينظر إلى بطريقه مخيفه أرعبتني، نظرات نهمه كلها شهوه. ارتعبت وتراجعت للوراء، أردت أن أضغط

على الزر الموجود بغرفتي، أردت طلب المساعدة ولكنه كان أسرع منى وامسك يدي، وقال: " كان مشهدا في غاية الرومانسية هذا الصباح "

كنت أحاول انتزاع يدي من يده ولكنه أقوى منى بكثير، دفعني للوراء حتى اصطدمت بالحائط ووضع يده الأخرى على فمي حتى يمنعني من الصراخ، وأكمل بصوت يقطر كراهية :

"ما الذي يتمتع به هذا الطبيب وأفتقده أنا؟! ناديه كادت تموت قلقا عليه، وأنتي لأول مره نسمع صوتك اليوم منذ ٥ سنوات، وأنت تطلبين المساعدة وكنت منهارة وتبكين بشده "

كنت أحاول أن ادفعه للابتعاد عنى، فضربت قدمه بشده أجبرته على التراجع قليلا، وحاولت الركض ولكنه امسكني من شعري، وحاول احتضاني وتقبيلي ودفعني للوراء حتى اصطدمت بالحائط

الفصل الثالث

ووقعت على الأرض، اتجه نحوى وقام بالإمساك بي من جديد، كنت أحاول أن أصرخ ولكنه دائما كان يضع يديه على فمي.

أردت إغماض عيناي وفتحها حتى أستيقظ من هذا الكابوس، ولكن عندما أغمضت عيناي وفتحتهم كان يوسف أمامي واقف. وهو يضرب سامح ضربا مبرحا ويقوم بإلقائه خارجا، ارتميت بين ذراعيه، كنت أبكى بشده .

" هل تأذيت يوسف، هل تؤلمك يديك؟ "

"بعض العادات القديمة لا تموت!! لا تستطيعين الاستغناء عن جمع الرجال حولك؟ "

لم أشعر بنفسي إلا وأنا أصفعه بقوه .

" أخرج من هنا، لا أريد رؤيتك مره أخرى "

وهم أنثى ... "

خرج من الغرفة مسرعا . . . وأنا ارتميت على السرير، وأنا أنتحب وأشهق بالبكاء

نهاية الفصل

الفصل الرابع

عندما خرج يوسف مسرعا من غرفتي شعرت بغضبه وحقده لإهانتي له بطرده، إذا كان هو من يشعر بالإهانة!! فماذا عنى أنا؟! بما أشعر؟

ارتميت على السرير وانهمرت دموعي بغزاره، كان نحيبي مشبعا بالغضب والمرارة، إحساسي بالظلم والإهانة طغى على كل شيء .

فقدت الإحساس بالزمان والمكان، وكان قلبي مثقلا بهموم الدنيا. ابكي وحدتي ويأسي، أشعر بمرارة الظلم الذي لطالما تعرضت له مرارا وتكرارا .

كنت على وشك التعرض للاعتداء!! وهو قام باتهامي بإغواء سامح!! حبست نفسي بغرفتي أيام لا أعرف عددها، وعدت لصمتي مره ثانيه .

وفى صباح احد الأيام. كنت انظر من نافذتي أطالع

حديقتي، دخلت روحيه الغرفة وهى تحمل صينية الطعام والتي لم أكن ألمسها خلال الأيام الماضية، وكنت أكتفي بشرب العصير فقط .

" صباح الخير جميله، كيف حالك اليوم؟ "

ابتسمت لها دون أن أقوم بالرد، كنت قد بدأت أشعر بألفة غير عاديه تجاه هذه السيدة .

"أحدهم حضر لرؤيتك، وأعتقد أنك سوف تسعدين بهذا اللقاء "

نظرت لها نظره فضولية، فابتسمت روحيه لي وقالت: "الأستاذ أحمد أخيك جاء لرؤيتك، أليس هذا خبرا مفرحا؟"

تجهم وجهي وامتلأت عيناي بالدموع التي لم أستطع منعها، وكنت أنتفض وشعرت بالرعب.

اقتربت منى روحيه وعيناها تمتلئ بالخوف

"ما بك جميله؟!! لماذا أنتي مرعوبة وخائفة؟! ألا



الفصل الرابع

تريدين رؤية أخيك؟"

همست بصوت مرتعش، وأنا أتمسك بيدها خوفا من أن تتركني لخوفي:

"لا! لا، أرجوك . . . أتوسل إليك روحيه، أتوسل إليك. لا أريد رؤيته أو رؤية أي احد. أنا أشعر بالضعف، وأنني لست بخير، أخبريه بذلك من فضلك "

"حسنا! اهدئي قليل،ا لا مشكله، لن أجعلك تريه إذا كانت هذه رغبتك "

وخرجت روحيه وتركتني، وأنا ما زلت أشعر بالخوف، واتجهت نحو النافذة، فرأيت أحمد واقف في الحديقة وهو يتأمل ساعته.

وبعد مضى فتره انضم إليه يوسف، وصافحه باليد وجلس معه على أحد المقاعد الخشبية المنتشرة

بالحديقة. هاجمتني ذكرياتي، وحاولت إبعاد تفكيري عن ذكرياتي السيئة وما أكثرها!!

كان أحمد دائما قريبا مني، يهتم بي ويرعاني، كان دائما يقول لي أننا لا نملك سوى بعضنا وأنه يتعين علينا الاهتمام ببعضنا البعض.

كان دائما له منزله غالية في قلبي، لكن كل هذا أصبح من الماضي!! الشخص الماثل أمامي لا يحمل من أحمد القديم سوى ملامحه فقط دون شيئا آخر.

وحتى ملامحه أصبحت مغلفه بقناع من القسوة الغير مبرره. كنت أتوقع الخيانة من الجميع إلا أخي. أخي الوحيد!! خانني عندما ساعد زوجي بإدخالي إلى هنا، بحجة أن هذا هو الأفضل بالنسبة لي. ولكنني كنت أعلم الحقيقة وراء هذا الإدعاء. لقد قام زوجي بتهديده بالسجن إذا لم يساعده للتخلص

مني .

كل هذا فقط لأنني عرفت الحقيقة الكاملة التي لا أستطيع البوح بها أبداً !!

نظرت من النافذة مره أخرى، فوجدت أحمد ينظر إلى النافذة ورآني، فتراجعت وابتعدت عن النافذة، وجلست على الكرسي وأخرجت الأوراق والألوان أخرج مشاعري المحبطة على الأوراق. كانت متنفسي الوحيد إلى جانب حديقتي .

بعدها سمعت طرق الباب، ومن ثم فتح الباب. وكان هذا يوسف !!

نهضت من مكاني واتجهت نحو النافذة، وقد أدرت ظهري له ونظرت للحديقة .

كان يوسف متردداً!!! أحسست بذلك، يتقدم خطوه

للأمام وبعدها يتراجع مره أخرى، كنت أتطلع باهتمام للصراع الدائر بداخله والذي تأثرت ملامحه به .

في النهاية تقدم منى حتى أصبح خلفي مباشرة، وقال :

" صباح الخير ميلا، كيف . . .؟ "

وسكت قليلا، ثم أكمل :

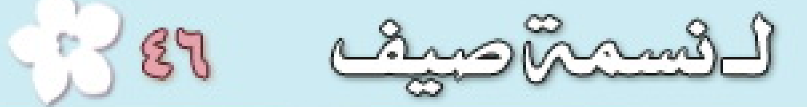
" كيف حالك اليوم؟ "

وقام بوضع يديه على كتفي، لكنني جفلت من لمسته، لقد كرهتها ودفعت يديه بعيدا عني.

"لماذا أنتي صامته هكذا؟! هل عدتي لألاعيبك القديمة؟"

كان كلامه قاسيا. وتأملته ببطء متعمد وتساءلت بيني وبين نفسي .

ماذا تبقى من يوسف القديم؟! وهل عرفته يوما؟ من

الفصل الرابع

أحببت أنا!! يوسف الرقيق الذي لطالما عشقته أم قاسى القلب هذا!! كان صمتي يوتره، ويفقده أعصابه.
أجبته :
"بعض العادات القديمة لا تموت، أليس كذلك؟ "
وأطلقت ضحكه كادت تخنقني
تنهد بنفاذ صبر: " ميلا!! يمكننا أن نمضى بقية حياتنا في هذا الهراء دون طائل "
كلامه أغضبني :
"ما هذه الجرأة التي تتمتع بها؟! هل تفضلت عليَّ وأجبتني من أين جئت بها؟ "
أقترب منى مجددا وتسارعت أنفاسي عندما امتدت يده لتلمس وجنتاي، فارتعشت بفعل هذا الإحساس الذي تملكني .

وهم أنثى ... "

أكاد أوشك على الجنون أم أنا هكذا بالفعل؟!! يتصارع داخلي شعوران لا أستطيع التخلص منهما أعشقه . . .وأتمنى لو أقوم بتحطيمه وتدميره، كما سبق وفعل بي .
" أنا أعتذر منك "
"لماذا تقوم بالاعتذار؟! هل أصبحت فجأة تتمتع بضمير حي؟! أم شعرت بمدى فداحة اتهاماتك الظالمة لي؟ يوسف!! أنت متأخرا كعادتك، متأخرا جدا!! وربما لسنوات، ألا ترى أن الوقت تأخر كثيرا على مثل هذا الاعتذار؟ "
تهدج صوتي وتقطعت كلماتي الأخيرة، وبدأت بذرف الدموع. شعرت بضيق في صدري، كنت قد عاهدت نفسي على ألا أذرف الدموع من أجله، ولكنني دائما هكذا!!! إنسانه ضعيفة وهشة قابلة للكسر. كرهت نفسي لضعفي وقلة حيلتي .

الفصل الرابع

اشتدت قبضتا يوسف وأسندها إلى جانبيه. رفع يديه ولمس يدي، وكانت يده دافئة وثابتة فوق يدي المتجمدة، بينما أصابعه تطبق على أصابعي بتملك .

أخيرا استجمعت شجاعتي، ورفعت رأسي لكي أنظر إليه.

كانت أشعة الشمس تلمع على شعره الأسود الناعم، وأغمضت عيناي وعدت أفتحهما فورا لكي لا تضيع لحظة واحده مني دون أن أتأمله، وأن أفقد طريقي بل وهويتي بين هاتين العينين الساحرتين .

أخذ يقبل يدي ببطء شديد . . . كانت تلك القبلات الرقيقة تدغدغ حواسي، تسمرت بمكاني غير قادرة على التحرك . . . كنت أخشى الابتعاد .

"قد يكون اعتذاري متأخرا. ولكنه صادقا، نابعا من

أعماق قلبي"

كان هذا صوت يوسف كان أقرب للهمس من الكلام. وضع يدي على قلبه وأحسست بنبضات قلبه المتسرعة تحت صدره القوى .

" أنظري إليّ ميلا "

وكأنني قادرة على النظر إلى أي مكان أخر!!

إن الحب الذي يجرى بين شفتاي ليس هو الحب الذي أحمله بقلبي!! وإنما الحب الذي يطل من عيناي هو هذا الحب. عيناي صادقتان لا تستطيعان الكذب حتى ولو حاولت .

الله يعلم كم حاولت مرارا وتكرارا أن انتهى من الماضي، وأن أعيش وهم ما يسمى بالحياة الجديدة. حاولت أن أتكلم، ولكنه أسكتني بأن وضع يديه على شفتاي .

"أنا أعتذر منك لأنني لم أكن رجلا بدرجه كافيه

لكي ابعد كل من حاول التفريق بيننا، وأعتذر منك لأنني لم أكن موجودا بجانبك لأمسح عنك كل لحظة ألم أو بكاء أو معاناة. وأعتذر منك لأنني لم أستحققك يوما. كنت أعلم بأنك بريئة، ولا يمكنك خداع احد، ومع ذلك لم أصدقك. غيرتي أعمتني "

"أنا أقسمت لك يوسف!! ولكنك لم تحاول سماعي مطلقا، أنت تعلم أن لمياء أخت صلاح كانت صديقتي المقربة "

" لا أريد سماع أسمه مطلقا "

"لا!! لا. بل سوف تسمعني، يجب أن تسمعني. في هذا اليوم كنت قد اتفقت مع لمياء على الذهاب إلى بيتها وان نستذكر دروسنا معا. وذهبت لبيتها بالفعل دون أن أعلم بأنها خرجت لإحضار دواء لصلاح من الصيدلية،

وطرقت الباب وفتح هو وقال لي أنها بالداخل، وأنا صدقته. ودخلت وبحثت عنها وعندما لم أجدها وأردت الخروج، كان قد أقفل الباب واحتجزني. قمت بضربه عدة مرات وكنت أقذفه بأي شيء أجده أمامي، حتى طرقت أنت الباب وتفاجأت عندما فتح الباب ورأيتك واقفا!! ونظرت إليَّ نظره لم أتمكن من نسيانها للآن. وبعدها ناديتك وتوسلت إليك أن تسمعني ولكن غضبك كان اكبر من كل شيء. حتى من حبك لي وحبي لك"

كنت أتكلم بصعوبة، وكانت الكلمات تخنقني ولم أستطع أن أستمر بالكلام .

"ميلا، لقد علمت الحقيقة بعدما ارتبطت بشيرين بفترة، سمعت مكالمة هاتفيه بينها وبين صلاح وهو يقوم بتهنئتها على الخطوبة وان مخططهما قد نجح، واستطاعوا التفريق بيننا. لقد تركتها وقمت بضرب

الفصل الرابع

صلاح حتى أوشكت على قتله"

لم أستطع تصديق ما سمعت !!

"إذا كنت تعلم بأنني بريئة طوال هذه السنوات!!

وتجرأت على اتهامي بإغواء سامح! وتركت شيرين فقط لأنك علمت بخداعها وكذبها. لا لأنك تحبني ولا يمكنك العيش بدوني!! كيف يمكنك التعايش مع كل هذا؟! لقد ظلمتني، ودفعتني للزواج من عصام. وأنا أدفع ثمن هذا الآن "

قاطعنا طرق الباب وفتح بقوة. كانت هذه الدكتورة ناديه وكانت ملامحها غاضبة ولكنها رسمت ابتسامه هادئة .

"دكتور يوسف، أعتذر منك ولكنني أحتاج إلى رأيك الطبي بخصوص إحدى الحالات "

لفت يدها على معصمه بتملك .

" بالطبع دكتورة!! أنا بخدمتك "

كان هذا يوسف الذي أقترب مني، وهمس بأذني:

" سوف أعود، انتظريني . . . أنا . . . أنا أعدك "

وغادروا الغرفة وأنا الألم الذي يعتمل بداخلي كان اكبر مني، ولم أعد احتمله .

كانت دموعي تنهمر دون أن أستطيع إيقافها، وركضت للحمام وقمت بغسل وجهي وتمنيت لو أمكنني غسل همومي والتخلص منها !!

طالعت المرآة. وهالني ما رأيت!! وجه شاحب، عينان زائغتان، كرهت تلك الصورة المنعكسة وأردت تحطيمها، وأن أجعلها تختفي تماما .

هويت بيدي على المرآة بقوة، فتحطم الزجاج وتناثر إلى قطع صغيرة. وسال الدم بيدي من غزارته وأحسست بالضعف، وبالهوة السوداء تتسع . . .



وأنني أضيع بداخلها . . . وأتلاشى تماما.



نهاية الفصل

BY BEDA & ELENA

الفصل الخامس

كانت الهوة السوداء تتسع وشعرت بأنني أتلاشى وأضيع بداخلها . . . كنت أشعر بألم كبير وكدت أن أستسلم لسبات عميق ولكن وجه واحد تراء أمامي . . . كان ينادني . . . يمسك بيدي . . . وجه أبنى الحبيب!! نعم، كان يبتسم لى ابتسامته العذبة، بوجه الطفولي البريء وعينيه الساحرتين وكان يمسك بيدي وينادني:

" أمي . . . أمي، تعالى إليَ. أنا هنا بجانبك أمي "

وبعدها ترك يدي!! حاولت أن أتغلب على الضعف الشديد الذي اشعر به وان أقترب منه، أريده أن يعاود الإمساك بيدي . . . وان ألمسه!! أقوم باحتضانه . . . كان هذا هوآخر ما رأيت قبل أن أدخل بسبات عميق.

كان يوسف قد عصف به القلق والتوتر يتذكر أخر ما قد قاله لجميله، لقد وعدها بالعودة إليها. رؤيته لها وهى محاطة بالدماء ومرتمية على الأرض في سبات عميق، كان أكبر من أن يتحمله، إحساسه بأنه مسئولا عن انتحارها، كان عبئا ثقيلا على كاهله.

كان قد انتهى من الاجتماع مع الدكتورة ناديه و رجع لرؤيتها، وطرق باب غرفتها وعندما لم تجب شعر بالقلق وفتح الباب.

كانت غرفتها خاليه وأتجه مباشرة للحمام وطرق الباب ولم يتلق أي إجابة . . . فخرج وبحث عن روحيه لكي تأتى معه وتبحث عن جميله بالحمام. وعندما دخلت روحيه وجدتها مرتمية على الأرض وساكنه . . . محاطة بالدماء والزجاج المتناثر من حولها، خرجت على الفور وهى تنادي:

" دكتور يوسف!! جميله واقعه على الأرض "

الفصل الخامس

ولم ينتظر أن تكمل كلامها . . . أسرع للحمام ورآها
وهى مضرجة بالدماء ودخلت روحيه وراءه ووقفت
لجانبه .

" ميلا . . . ميلا . . . أجيبيني ميلا "

وقام بانتزاع ربطة شعر روحيه وقام بربط معصمها
الممزق، وحملها وخرج مسرعا لإنقاذها. وعندما خرج
الطبيب من غرفة جميله، سأله بلهفه عن حالتها وإذا
ما كانت بخير .

قال له الطبيب :

"لقد نزفت كثيرا، وهى مصابه بفقر الدم، نحتاج لنقل
دم لها فى الحال. إنها تعانى من سوء تغذيه "

أجابه يوسف :

"أنا مستعد لتقديم الدم اللازم لها . . . أنا وهي نحمل

نفس فئة فصيلة الدم، من فضلك أبذل ما بوسعك
لإنقاذها . . . لا أريد أن أفقدها!! "

"لا تقلق يوسف!! تماسك قليلا. سوف نبذل كل ما
بوسعنا "

كان هذا قول الطبيب. بعدها جاءت الدكتورة
ناديه ووقفت إلى جانب يوسف، قائلة:

" دكتور يوسف، كيف حالها؟ هل هي بخير؟ "

أجابها بقلق وهو يشعر بالتوتر الشديد:

"إنها بحاجه للدم، لقد نزفت كثيرا وسوف أقوم
بإعطائها الدم اللازم "

"دكتور يوسف، هل تعرف جميله من قبل؟! تبدو في
غاية القلق "

"نعم، إنها أخت صديق لي. وأعرفها منذ عدة سنوات"

بدا على ملامحها الانزعاج . . . ولكن يوسف لم
يلاحظ ذلك، فهو بعالم آخر . . . عالمه لا يشمل إلا

حبيبته الصغيرة!! وتركها وذهب لكي يقوم بالتبرع لها بالدم .

× × × × ×

كنت قد بدأت بالاستيقاظ وأشعر بالضعف وبألم بمعصمي، وحاولت أن أتذكر ما حدث وبدأت الذكريات تتدفق في رأسي وتذكرت ألمي وشعوري بخيبة الأمل وبأنه خذلني كما فعل من قبل، وابني..

ابني كان معي، لم يتركني عندما كنت أصارع الموت.

فتح يوسف الباب في تلك اللحظة، وخفق قلبي لرؤيته وهو يطل بقامته الطويلة .

أدرت وجهي لأنظر بعيدا . . . أقترب وجلس على المقعد المجاور للسرير، قائلا :

" ميلا، كيف حالك؟ "

لم أرد عليه.

"ميلا، أنظري إليّ . . . علينا أن نتحدث، يجب أن اعرف كل شيء. لقد وعدتك بالعودة وان أشرح لك كل شيء!! لماذا فعلت ذلك؟! لماذا أردتي إنهاء حياتك؟ هل أردتي أن تعاقبيني؟! وان تتركيني وان ترحلي بهذه البساطة !!"

دفعت الملاءة وحاولت النهوض، ولكنه تحرك فجأة وامسك بكتفي يمنعني، فأخذت نفسا عميقا وبدأت دموعي بالانهمار بغزاره دون أن أستطيع إيقافها.

"يكفى يوسف أرجوك! لقد تحملت منك الكثير، أنا ببساطه لقد اكتفيت . . . لم يعد بإمكاني أن أتحمل أكثر"

وبعدها صرخت بقوه

"اخرج . . . اخرج. لا أريد رؤيتك مجددا، أبتعد عني، يكفي "

وشعرت بعدها بألم شديد وبالضعف، لم يكن ألما بدنيا... بل جرح عميق بقلبي، حاول أن يقترب ولكنني دفعته بعيداً.

"اهدئي ميلا من فضلك! اهدئي . . . سوف أتركك الآن، ولكنني أعدك بأنني سوف أعود. سوف أعود دائما "

وغادر يوسف الغرفة وأجهشت بالبكاء.

بعد هذا اليوم حاول رؤيتي ولكنني رفضت، وعلمت من روحيه انه لم يبتعد عن المستشفى أبدا، وعن مدى قلقه وسؤاله الدائم لروحيه وللطبيب عني.

كنت أشعر في السابق برغبة ملحه لإنهاء حياتي، ولكنني عندما كدت أن أستسلم كان ملاكي الحارس يرعاني ويدفعني للتشبث بالحياة من جديد ... أبني

هو ملاكي الحارس.

سمعت طرق الباب وأطلت لبنى ابنة خالتي ... صديقتي المقربة وهي تبتسم ابتسامتها المعهودة، وملامحها الرقيقة ... لم تكن جميلة بالمعنى الحرفي، ولكنها كانت رقيقه طيبه القلب. واقتربت مني وطبعت قبله على خدي واحتضنتني. شعرت بالسعادة تغمرني لرؤيتها.

"كيف حالك حبيبتي؟ مع أنني لا أرى من داع لهذا السؤال!! فأنت دائما مشرقه وجميله"

وضحكت ضحكه رقيقه . . . كانت هذه لبنى!!

ابتسمت لها وقلت:

"لطالما كنت رائعة ومجامله حبيبتي لبنى، لقد اشتقت لرؤيتك كثيرا جدا. كيف حال أسامه والأولاد لم أراهم منذ فتره طويلة؟ "

بان الحزن على ملامح لبنى، وأكملت أنا:

الفصل الخامس

" منذ ٥ سنوات . . . قبل دخولي إلى هنا "

أمسكت لبنى بيدي، وقالت :

"لا عليك حبيبتي . . . سوف تتحسنين قريبا، وتغادرين هذا المكان. وسوف نذهب بعطله طويلة، وسوف يكون معنا ابنك، وسوف تسعدين به "

أجبتها : " هل تصدقين ذلك لبنى؟ "

"نعم بالطبع، سوف ترين . . . كوني متأكدة! جميله... لقد رأيت شخص بالخارج ولست متأكدة... "

قاطعت كلامها :

" يوسف . . . أنه يوسف "

بانت الدهشة على ملامح لبنى: " يوسف!! جارك القديم!! "

"نعم هو، ولا تسأليني أي شئ آخر . . . كل ما أريده

هو الخروج من هنا، ورؤية أبنى!! هل سوف تصدقيني إن أخبرتك بأنني رأيت أبنى، وانه كان يمسك بيدي ويناديني عندما كنت أصارع الموت، بعد أن مزقت معصمي "

" نعم حبيبتي . . . بالتأكيد أنا أصدقك "

" أريدك أن تساعديني لبنى، أرجوك؟ "

"أنا مستعدة لفعل أي شئ لمساعدتك . . . إذا كان هناك ما يمكنني فعله أخبريني فقط "

"نعم لبنى، أريد من فريد أن يذهب لرؤية عصام أريد أن أرى ابني، لقد اشتقت له كثيرا "

"بالتأكيد حبيبتي، سوف أفعل . . . لا تقلقي "

قالت لبنى :

"سوف أذهب الآن . . . وسوف أعود قريبا لرؤيتك "

"حبيبتي، شكرا لقدومك. وجودك بجانبي يعنى لي الكثير "

وقبلتني لبنى وغادرت .

× × × × ×

غادرت لبنى غرفة جميله وهى تشعر بألم وحزن عميق لما تعانيه جميله، وأطلقت العنان لدموعها الحبيسة.

فاصطدمت أثناء خروجها من الغرفة بشخص، وكانت مستغرقة فى التفكير فرفعت رأسها لتنظر . . . لتجد يوسف أمامها .

بادرها بالقول :

"سيدتي!! هل لي أن أتحدث معك قليلا؟ "

" أنت يوسف... أعنى الدكتور يوسف، أليس كذلك؟ "

"نعم سيدتي، وأنتي السيدة لبنى ابنة خالة جميله؟ "

" نعم أنا هي!! بما أخدمك؟ "

" أريد فقط قليلا من وقتك "

" أنا أعتذر منك، لا يمكنني . . . أنا مشغولة قليلا "

"أرجوك!! قليلا فقط، لن نبتعد كثيرا، ما رأيك سوف نتناول فنجان من القهوة هنا بالمستشفى؟! ولن أخد كثيرا من وقتك "

استسلمت لبنى لإصراره وذهبت معه .

جلست على إحدى المقاعد بمقهى المستشفى، وبعدها أتى بكوبين من القهوة وأعطى لها القهوة .

" شكرا دكتور "

"كيف حالها اليوم، هل هي بخير؟ هل لازالت تتألم؟ وهل تتناول أدويتها بانتظام "

كان يسأل بلهفه دون أن يعطيها أي فرصه لكي تجيبه، وابتسمت لبنى. فتنبه يوسف لما فعل!!

"أعتذر منك، ولكنني أشعر بالقلق الشديد عليها.وهي ترفض رؤيتي "

شعرت لبنى بصدق عاطفته، وقلقه الشديد البادي

على وجهه، ورقت لحاله .

"هي بخير والحمد لله، وأعتقد أنها بدأت بالتعافي. لقد علمت أنك قمت بالتبرع لها بالدم ولكنني لم أرد أخبارها لكي ... "

قاطعها يوسف :

" ولا أريد منك إخبارها!! إذن، هي بخير حقا؟ "

أجابته لبنى: " أؤكد لك . . . أنها بخير الآن "

تنفس يوسف الصعداء وأشرق وجه بابتسامه، والتمعت عينيه ببريق غريب، أمتزج فيهما سروره وقلقه على جميله.

"سيده لبنى، أريدك أن تحكى لي كل شئ عن حياتها الماضية قبل دخولها المستشفى وعن ... "

وسكت قليلا، ثم أضاف :

" عن زوجها "

"أنا لا أعرف الكثير. أرجو أن تصدقني!! جميله كانت دائما كتومة، حتى معي وأنا أقرب الناس إليها!! وبالنسبة لزوجها، كل ما أعرفه عنه أنه رجل ثري، وان ثروته هذه هي بالأصل ملكا لزوجته توحيده. وان علاقة جميله وتوحيده كانت علاقة رائعة جدا . . . وبأنها كانت تحسن معاملتها وتراعي يوسف الصغير، بل وشجعتها أيضا على إكمال دراستها . . . ببساطه كانت تعاملها كابنة لها على حد تعبير جميله. أما عصام، فجميله لم تكثر الحديث عنه أبدا "

" أريد منك معروفا سيده لبنى "

" نعم!! إذا كان باستطاعتي "

"أعتقد هذا . . . أريدك أن تتحدثي مع جميله، وتقنعيها بأن توافق على رؤيتي "

الفصل الخامس

" سوف أحاول، ولكنني لا أضمن لك أنها سوف توافق بسهوله "

" شكرا لك، أنا أقدر هذا كثيرا "

وودعت لبنى يوسف وغادرت المستشفى، وقادت سيارتها متجهة لمنزل أخيها فريد .



الفصل السادس

كان عصام جالسا على مقعده الوثير بمكتبه الفخم بإحدى المناطق الراقية للمدينة وهو يتابع باهتمام أسهم شركاته بالبورصة. عندما علا رنين هاتفه الخليوي، فنظر لشاشته وأجاب :

" مرحبا يا صديقي القديم "

أجابه الصوت على الجانب الأخر :

" مرحبا سيد عصام، أحتاج لرؤيتك لأمر ضروري "

أجاب عصام بنفاذ صبر :

" إذا كان الموضوع يتعلق بالمال، سوف أرسل ... "

قاطعه المتكلم على الجانب الآخر :

"لا يتعلق الموضوع بالمال. ويكفي أن تعلم أنه يتعلق بزوجتك جميله "

أعتدل عصام على كرسيه وقد اكتسى وجهه علامات

التوتر والقلق .

" سأراك في الحال، في مكاننا المعتاد "

أقفل عصام الهاتف وخرج مسرعا من مكتبه وأستقل سيارته حتى وصل للمنطقة الجبلية المتاخمة للمدينة، وتوقف على جانب الطريق ينتظر القادم.

لم ينتظر عصام طويلا حتى انضمت سيارة أخرى إليه، فخرج من سيارته وأقترب من القادم وخرج الأخر بدوره أيضا من السيارة، وتصافحا كان عصام يبدو في غاية القلق، فقال :

" ماذا ورائك؟ ماذا عن جميله؟ "

" سوف أقص عليك كل ما حدث "

وبعد أن انتهى من الحديث معه، أخرج عصام سيجاره وقام بإشعالها، وقال :

"يجب أن تراقبهم جيدا وتعلمني بكل المستجدات"

أجاب الأخر :

الفصل السادس

"انا لم أعد مسئولا عن متابعة حالتها، لقد أكدت لك ذلك "

ألقى عصام سيجارته على الأرض وداس عليها بحذائه،ثم هجم عصام عليه وقد أمسك بتلابيبه وقال:

"سامح!! لا تدفعني لأن أمنحك بعض السلام الأبدي"

أنتفض سامح بين يدي عصام، وقال:

"سوف أنفذ كل ما تأمرني به، فقط لا تقوم بإيذائي"

"هذا يتوقف على مدى طاعتك لي "

ودفعه عصام بقوه فتراجع حتى أصطدم بسيارته واستقل عصام سيارته وغادر المكان مسرعا .

× × × × ×

كانت لبنى تقود سيارتها وهى تفكر بجميله، وكيف آل إليه حالها!! رفيقة طفولتها!! لقد كانت دائما مشرقه

متفائلة محبه للحياة. كيف يمكن أن يصل بها الحال إلى حد الانتحار؟!!

بينما كان فريد يجلس بمنزله يشاهد التليفزيون ويمسك بالجريدة يقوم بتصفحها وكانت زوجته علياء بالمطبخ تحدثه:

" فريد . . . فريد "

" نعم علياء "

"ما رأيك بان تحدث والدتك؟! وأن تقنعها بأن توافق على أن ننتقل للعيش معها، سوف أقوم بتأجير منزلنا"

أجاب فريد بنفاذ صبر:

" لا يمكنني إطلاقا أن أحدث أمي بهذا الموضوع "

"لماذا؟! أنت أبنها الوحيد. منزلها واسع، وهي تعيش به وحيده!! كما ان والدك قد ترك لها تجاره رائجة تدر عليها ربحا كثيراً. لن يضيرها أن تعطينا القليل"

شعر فريد بالانزعاج الشديد لكلام زوجته، فأخرج من

الفصل السادس

جيب بنطاله بعض سدادات الأذن التي لا يخلو جيبه منها، وقام بوضعها وهو يتلفت حوله خوفا من أن تراه زوجته، وامسك بالجريدة من جديد وهو يشعر بالأسى والحزن. فعلاقته بزوجته سيئة، ولا سبيل أبدا لتتحسن. كم من المرات فكر جديا بالانفصال عنها، ولكن كان إحساسه بالخوف على مستقبل أولاده يمنعه دائما على مثل هذا الفعل.

" فريد . . . فريد!! لماذا لا تجيبني؟ "

كانت علياء تنادي فريد دون أن تتلقى أي استجابة منه، فخرجت من المطبخ واقتربت من فريد بهدوء، ونزعت سدادات الأذن وصرخت في أذنه :

" فريد . . . فريد "

جفل فريد من صراخها، ووضع يده على أذنه وهو

يتأوه .

"ما الذي فعلته؟! أنا لا أسمع شيئا إطلاقا!! لقد أصبتني بالصمم "

أطلقت ضحكه ساخرة وتشدقت بالكلام :

"هذا هو العقاب الذي تستحقه لوضعك سدادات الأذن، ورفضك للتحدث معي "

شعر فريد بالغيظ الشديد وبدمه وهو يغلي بعروقه، فقال :

"علياء!! ذكريني من فضلك، كم يبلغ مؤخر الصداق الخاص بك؟ "

أصابتها كلماته في الصميم!! تلاشت الابتسامة من على وجهها وامتلأت عينيها بالدموع:

" مبلغ كبير، لا يمكنك دفعه"

"سوف أرى ما يمكنني جمعه، وأقترض الباقي من والدتي "

الفصل السادس

أخذت علياء تبكى وتصرخ وتركته ودخلت المطبخ مره أخرى، فأمسك فريد بسدادات الأذن وقام بوضعها من جديد .

طرق الباب وتوجهت علياء وهى ما زالت تبكى وتصرخ، وقامت بفتح الباب لتجد لبنى أمامها فألقت نفسها بين ذراعي لبنى فاحتضنتها لبنى وربتت على كتفيها، وقالت :

"علياء ما بكى؟ لماذا تصرخين؟ هل مرض أحد من الأولاد؟ "

" أخيك!! يريد أن يطلقني "

تنفست لبنى الصعداء: " علياء، وهل صدقت فريد كثير المزاح؟! وهو بالتأكيد لن يقوم بتركك أبدا "

مسحت علياء دموعها: " لبنى، أتعتقدين ذلك؟ "

" أؤكد لكي عزيزتي، أين فريد؟ "

"بالداخل يشاهد التليفزيون، سوف اعد بعض الشاي وأنضم إليكم بعد قليل "

دخلت لبنى الغرفة، واقتربت من فريد الذي نهض وصافحها وقبلها .

" كيف حالك أخي؟ "

نزع فريد سدادات الأذن، وقال :

"كما ترين، لا يخلو جيبي من سدادات الأذن أبدا "

ضحكت لبنى وقالت له: " تحلى بالصبر قليلا أخي"

"لم يعد بإمكاني لبنى، أنا أريد أن أتركها وأن أنهي العذاب الذي أتعرض له يوميا على يديها "

"لا يمكنك فعل ذلك!! فكر بأولادك، هم بحاجه لكما أنتما الاثنين معا. والآن دعنا من هذا الحديث، لقد جئت للتو من عند جميله "

اكتسى وجه فريد بملامح الاهتمام والجدية، وسأل

الفصل السادس

لبنى بلهفه: " كيف حالها؟ "

"حاولت الانتحار، ولكن الحمد لله تم إنقاذها. ولكن يجب علينا أن نساعدها "

"كيف؟! ". سألها فريد

"هي تريد رؤية ابنها، وتريدك أن تذهب لعصام وتقول له أنها تريد رؤية يوسف "

"حسنا أختي سوف أذهب إليه وأحدثه قريبا، ولكن لا تذكري شيئا عن الموضوع لزوجتي. أنتي تعلمين أنها تشعر بالغيرة من جميله، لأنها على علم بأنني كنت أريد الارتباط بها أولا "

قالت له لبنى:

"لا تقلق، لن أخبرها. والآن يتعين على العودة للمنزل، لقد تأخرت كثيرا"

بدأت أشعر بالتحسن وأستعيد قواي، وتم نقلى مجددا لغرفتي القديمة بالقسم النفسي. كنت قد مللت من الجلوس بالفراش كل يوم، وقررت الخروج للحديقة لأستنشق بعض الهواء .

رافقتني روحيه للحديقة وأجلستني على احد المقاعد الخشبية. ولم يمضي فتره طويلة حتى أقترب يوسف مني، حبست أنفاسي متسمرة مكاني، كنت أشعر باضطراب وبدأت يدي بالارتجاف، فوضعتهما فى حضني لكي أهدأ قليلا. كان ينظر إلي والشوق يلمع في عينيه، فارتعشت بشدة .

" صباح الخير جميله "

شعرت بالدهشة!! فهو لا يناديني باسمي كاملا أبدا .

" صباح الخير دكتور يوسف "

اتسعت ابتسامته: "هل تشعرين بتحسن اليوم ميلا؟"

لاحت ابتسامه على شفتاي لم أستطع منعها، لطالما

الفصل السادس

كان دائما هو الوحيد القادر على جعلي أنفطر بالبكاء، وعلى زرع البسمة على شفتاي!!

كم عشقته بالماضي!! وكيف اعتقدت يوما أنني شفيت من هذا الحب؟! لقد كبلني بخيوط خفيه أطرافها بين يديه وحده، ولن استطيع التخلص يوما من هذا العشق ما دام قلبي ينبض. فأنا أتنفس عشقه .

كنت أتأمل ملامحه بشوق، كانت تملئني رغبه محمومة. أريد أن أتلمس وجهه، وأن أقترب منه. أن اشعر بدفئه!! أن اشعر بحبه الذي حرمت منه، ولطالما اشتقت إليه .

"أريد أن أحدثك قليلا " كان هذا يوسف .

"لم يعد هناك ما يمكننا الحديث بصدده، لقد تكلمنا بكل شيء تقريبا "

نهضت من مكاني دون أن أعطيه فرصه لمنعي أو حتى للرد. أحسست بنظراته تخترقني فاستدرت لأنظر إليه، فرأيته وقد أخفى وجهه بين يديه .

كنت أريد أن أعود إليه، ولكنني أبيت أن افعل!! وعدت لغرفتي والألم يعتصرني .

نهاية الفصل

الفصل السابع

كنت أجلس بحديقة المستشفى أتأمل الأشجار، وأنصت لزقزقة العصافير من حولي بصوتها الساحر وهي تعلن بدء يوم جديد.

تمنيت وقتها لو أنني مثلهم طائر بجناحين، وأن أحلق بهما وانطلق في السماء أسابق الريح، وان أقطع المسافات وان احتفظ بذكرى في قلبي لكل ما تراه عيني، أن أشعر بأنني حرة غير عابئة بشيء. لا أشعر بالأسى لماضي يؤلمني، ولا من حاضر يؤذيني.

قيودي وضعها غيري، ودعمتها أنا بنفسي. فهل أتمكن يوما من كسرها والتخلص منها وأن أنعم بحريه طال انتظارها!! فإلى متى؟ وهل يطول الانتظار؟

عندما رأيت لبنى وهى متجهة نحوى وهى تحمل بيدها بعض الأغراض، نهضت من مقعدي وأنا كلي

شوق ولهفة. أريد أن أعرف ماذا كان ردة فعل عصام عندما ذهب فريد لمقابلته؟

قابلتني بابتسامتها اللطيفة، واقتربت منى لتحيطني بذراعيها وطبعت قبله على خدي، وأنا انظر إليها بتوتر وترقب.

"لبنى، كيف حال أبني؟ هل سأراه؟ ماذا قال لك فريد؟ لماذا أنتي صامته هكذا؟ "

رنت ضحكتها عاليا:

"لأنك لم تعطيني أي فرصه وأنهلت عليّ بالأسئلة"

"اعتذر منك حبيبتي، ولكنك تعلمين مدى قلقي وشوقي له!! أنا أراه يوميا بأحلامي، احتفظ في ذاكرتي بملامحه التي تركته عليها لأنني لا أملك غيرها، وأخاف يوما أن أستيقظ لأجد نفسي قد نسيت وجهه. ولذلك أقوم برسمه آلاف المرات"

وانهمرت دموعي دو أن أستطيع إيقافها. ووجدت

الفصل السابع

لبنى تبكي بدورها، فقربتني منها واحتضنتني وهي تربت على ظهري حتى استعدت بعض هدوئي السابق.

"هل تشعرين أنك بخير الآن؟ " سألتني لبنى

" نعم حبيبتي، شكرا "

أخرجت لبنى من حقيبتها صورة، وقامت بإعطائي إياها. أخذت منها الصورة بأصابع مرتعشة، وتأملتها جيداً. كانت لطفل جميل يبدو في السابعة من عمره، له أروع ابتسامة يمكن أن تجدها يوما. وأجمل عينين يمكن أن تتطلع لهما يوما، كان وجهه ضحوكا!! ان هذا الطفل يشبه ابني ببعض الملامح. فرفعت عيناي أتطلع للبنى. غير مصدقه!! وأخشى أن اسألها فتجبيني بالرفض.

فوجدتها تومئ رأسها بالموافقة. شعرت وقتها أنني بأروع حلم وقربت الصورة من فمي بلهفه، وقبلت كل أنش فيها. أحسست بأنها تجعدت قليلا من جراء إمساكها بقوة. قمت بفردها من جديد وقربتها من قلبي بينما لبنى كانت تتأملني وهى تذرف الدموع بشدة، متألمة لحالي. ابتسمت لها. فقالت لي وهي ضاحكة :

" هل أنتي بخير الآن؟ "

ضحكت بدوري، ثم قلت :

"أظنني عاطفيه بعض الشيء اليوم، وأميل للبكاء. ماذا فعلت كي أستحق صديقة رائعة مثلك لبنى؟ "

"صديقه رائعة لصديقه أروع حبيبتي!! لطالما كنت لي نعم العون والسند. ويبدو إنك ستقومين بإغضابي بكلامك هذا "

واحتضنتني ثانية بقوه. بعد لحظات من الصمت،

سألتها:

" كيف حصلت عليها؟ "

"فريد أعطاني إياها. عندما ذهب لمقابلة عصام وأخبره عن رغبتك في رؤية يوسف، أعطاه إياها قائلا أنه سوف يأتي قريبا لرؤيتك"

شعرت بالخوف يجتاحني لحظة نطقها بهذه الكلمات.

"هل سيأتي عصام لرؤيتي؟! ". كنت أتلعثم وأنا أتكلم

"نعم، هو أكد لفريد ذلك. واعتقد أنها سوف تكون مبادرة طيبه منه!! لماذا تبدين خائفة هكذا جميله؟! ماذا هناك؟ "

" لا شيء حبيبتي، لا شيء أبداً "

" قد يفيدك قليلا أن تفصحي عن مخاوفك "

كانت هذه لبنى تكلمني دون أن أنتبه.

" ماذا قلت؟! آسفة لم أسمع "

"لا شيء جميله!! ماذا عن يوسف؟! هل رأيته مؤخرا؟ "

"لا، لم أره منذ يومان. ولم أسأل عنه، ولا أجرؤ أن أبدأ بالسؤال عنه. لقد كنت قاسية جدا في آخر لقاء بيننا وعاملته بجفاء، ولم اسمع له تماما "

" وماذا عن هذا؟ "

وأشارت لبنى لقلبي، ضحكت لحركتها:

"لبنى!! أنتي لم تتغيري إطلاقا، مازالت طفلة! من يراك الآن، لا يمكنه أن يصدق انك زوجه وأم!! "

قهقهت لبنى وهى تغمز بعينيها:

"نعم طفله . . . طفله في الحب، قلبي هذا سوف يؤدى إلى هلاكي ما لم أكن قد أهلكت فعلا"

"لبنى!! هل أنا مجنونه فعلا؟! هل يمكنك أن تمتلكي شعوران متضادان إزاء نفس الشخص؟! أنا

الفصل السابع

اشعر بحبه الطاغي، احمله بعقلي وقلبي أينما ذهبت، أتألم لابتعاده عنى وأخاف إن أقترب مني. ولا يمكنني مسامحته أبدا لما فعله بي"

"لا عليك حبيبتي، الأيام كفيله بان تجعلك تستعدين نفسك من جديد، وأن تكوني قادرة على اتخاذ القرارات الصائبة. لقد أحضرت لكي بعض الأوراق والأقلام، وأيضا هناك مفاجأة أخرى "

" أخرجي ما في جعبتك أيتها الساحرة الطيبة "

أعطتني لبنى كتاب من الإصدارات الحديثة، تأملته جيدا كان يحمل عنوان عن الزخرفة الإسلامية. فابتسمت لرؤية الكتاب، ولكن لفت نظري اسم المؤلف!! كان يحمل اسم الدكتور وسام حازم!! إذن لقد حصل على الدكتوراه. وشردت بفكري بعيدا

أستعيد الذكريات .

كنت أركض مسرعة وأنا في طريقي للخروج من قاعة المحاضرات خائفة من أن أتأخر على عصام، وان يقوم بسؤال زميلاتي عنى وان يعرفوا بأنه زوجي. كنت قد قمت بإخفاء هذا الأمر عنهم، لم أرد أن يعلموا بوضعي وأنني الزوجة الثانية لرجل يكبرني بالعديد من السنوات. أردت إخفاء كل ما يتعلق بحياتي الخاصة.

كنت شاردة الذهن عندما اصطدمت أثناء خروجي بشخص لم انتبه إلا ومحتويات حقيبته وقد تناثرت على الأرض وشعرت بالحرج الشديد، فجثوت على ركبتاي ألملم الأوراق وكنت أجمعها وأقوم بإعطائها إياه دون أن أتطلع لوجهه، وكلما أعطيته بعض الأوراق حتى يقوم بإسقاطها من جديد، ولما يئست من جمعها. رفعت عيناي لتصطدم بعينين رماديتين

آسرتين لم يتفوه بكلمه واحدة كان هادئا وبعيدا.
نهضت من مكاني فجأة وأنا أعتذر، وركضت للخارج لأجد عصام متكئ على مقدمة السيارة ولما رآني أعتدل واقفا، وسألني عن سبب تأخيري. وأجبته بأنه .كان يتعين عل حضور إحدى المحاضرات

في اليوم التالي، كنت أجلس بمقهى الجامعة أنزوي في طاوله بعيده وأنا أتناول قدحا من القهوة وأراجع بعض المحاضرات. عندما أحسست بنظرات تخترقني، فرفعت نظري تلقائيا لتتلاقى مع صاحب العينان الرماديتين، فأخفضت عيناي انظر إلى الأرض ولملمت أغراضي وركضت مسرعة إلى قاعة المحاضرات

جلست بمقعدي وكانت زميلاتي يتداولون فيما بينهم

آخر الأخبار، وآخر الأخبار لهذا اليوم كانت تدور عن الأستاذ الجديد الذي تم نقله حديثا للجامعة.
عم الهدوء القاعة بدخول الأستاذ المنتظر. وسمعت صوته وهو يلقى إلينا بالتحية، كان صوته قويا يحمل في طياته جاذبيه شديدة تتمثل في مزيج القوه والهدوء الذي يتحلى بهما،وشعرت بالفضول لرؤيته، فرفعت عيناي لتصطدم بصاحب العينين الرماديتين.
وعندما التقت نظراتنا لاحت على شفتيه ابتسامه، فأخفضت نظري للأرض خوفا من أن ينتبه احد الطلاب. ومرت المحاضرة دون أن أعاود النظر إليه.
ولما انتهت كنت أنا أول من خرج من القاعة.
عندما كنت في طريقي للخروج، سمعت شخصا يناديني:
" آنسه جميله، أليس كذلك؟ "
فاستدرت لأجد ه واقفا أمامي، وأجبرت نفسي على

النظر إليه. كان طويلا جدا شعرت أمامه بالضآلة. كرر سؤاله مره أخرى وشعرت بأنني غبية وأنا أنظر إليه دون أن أرد .

" نعم أستاذ، أنا هي "

" وأنا وسام حازم "

"أهلا بك. استأذنك الآن في الخروج، لقد تأخرت كثيرا "

وغادرت دون أن أنتظر الرد، وعندما خرجت وجدت عصام ينتظرني بالمكان المعتاد .

كنت أتلفت يمينا ويسارا خوفا من أن يراني احد، ولكنني وجدته واقفا ينظر إلي أنا وعصام باهتمام.

حاولت أن أستعيد بعضا من هدوئي أمامه، حتى لا يشعر بشيء .

كان وسام لا يعرف بزواجي الذي حرصت على إخفائه عن الناس جميعا .

كانت لبنى تطالعني باهتمام، فسألتني :

" أين ذهبت وتركتني؟! لقد شردت كثيرا "

" أعتذر لبنى، ولكن المؤلف..."

نظرت لبنى للكتاب، وقالت :

"وسام حازم!! أليس هو الأستاذ الذي تقدم لخطبتك دون أن يعلم بأنك متزوجة؟!! "

"نعم، هو. ولا زالت أشعر بالذنب لما سببته له من أسى "

"أنت لا ذنب لك مطلقا، لم يكن يجمعكم أي شيء"

" نعم، ولكنني أذيته بطريق غير مباشر بكذبي هذا"

"لا تعاودي التفكير بهذه الأمور، يجب أن أذهب الآن. وسوف أراك لاحقا "

غادرت لبنى المستشفى وبدأت أتصفح الكتاب



الفصل السابع

باهتمام، عندما أتت روحيه إليّ معلنة قدوم شخص لزيارتي. ولما سألتها عن هويته، أجابتني بأنها لا تعرف .

ونهضت من مكاني ومشيت معها، وطرقت الباب وقامت بفتحه ودخلت. لأجد نفسي أمام عصام. كان يقف أمامي شامخا وقاسيا كما عهدته دائما !!

الفصل الثامن

كنت أخطو لداخل الغرفة بترقب شديد، لأصطدم بوجه لطالما تمنيت أن امحوه من ذاكرتي . . . عصام ماثلا أمامي بكل قساوته وصلابته .

أردت أن أتراجع وأعود من حيث أتيت، ولكن نظرته المحذرة لي جعلتني أعجز عن الحراك. ووقفت جامدة بمكاني للحظات، ثم تقدمت ببطء للأمام وروحيه تتبعني للداخل .

قطع عصام الصمت، وقال لروحيه :

" شكرا لك، يمكنك الانصراف الآن "

نظرت لروحيه نظرات أستنجد بها ألا تتركني وحيده معه، وفهمت روحيه على الفور تلك النظرات الخائفة فترددت في الانصراف، فأعاد كلامه مره أخرى وهو ينظر إليها بغضب .

أحسست بأنها شعرت بالخوف، فتحركت وخرجت مسرعه من الغرفة وهي تتخبط في خطواتها .

لطالما كان لعصام هذا التأثير الشديد على الجميع!!

كان يتقدم ببطء شديد مني. وتراجعت غريزيا للوراء حتى اصطدمت بالحائط، ولكنه توقف عن التقدم مني، وجلس على أقرب مقعد وأشار إليّ بالجلوس. ترددت ولكن نظراته إليّ أجبرتني على الانصياع لأوامره. وجلست على مقعد بعيد عنه .

كنت أنظر للأرض واحتضنت نفسي بذراعي رغبة في الحماية، وان أشعر بقليل من الأمان .

أخرج سيجارا من جيبه وقام بإشعالها، ثم قال :

"لقد نحفت كثيرا وتبدين شاحبة!! ألا تأكلين جيدا؟ "

أسندت ظهري للمقعد ونظرت إليه :

" شكرا على الإطراء، لطالما كنت مجاملا جدا "

الفصل الثامن

نفث دخان سيجارته: " أرى إنك لم تتغيري كثيرا!!
ما زالت سليطة اللسان "
" تعنى صادقه، أليس هذا وصفا أكثر دقه؟ "
استرخى في جلسته، ونظر إلي بإمعان .
" هل شاهدتي صورة يوسف التي أرسلتها لكي؟ "
كان ينطق كل كلمه ببطء شديد، ويتمعن في النظر
إليّ كأنه يريد أن يرى مدى تأثير كلماته علي.
لقد شعرت بالتوتر واللهفة والشوق لمعرفه كل ما يتعلق
بيوسف، لم أستطع السيطرة على توتري فنهضت من
مكاني، واقتربت منه .
"كيف حاله؟ هل هو بخير؟ أخبرني كل شيء يتعلق به"
"جميله، اسمعيني جيدا. أنتي طلبتي رؤيته، وأنا
سوف أعرض عليك عرضا يحقق كل ما تتمنيه وأكثر "

كنت أترقب كل كلمه يتفوه بها، أردت أن أعرف
ماذا يريد مني؟
"جميله، سوف أخرجك من هنا. وستعودين للعيش
معي مجددا ومع أبنك، وبالطبع مع توحيده"
كان وقع كلامه علي كالصاعقة!! جلست على أقرب
مقعد وأنا أحاول أهدئ من روعي .
أقترب مني وقال لى: " لا تبدين فرحه!! لم أكن
أتوقع ردة فعل كهذه "
رفعت نظري إليه: " هل انتهت عقوبتي أخيرا؟ "
أبتعد عني وأقترب من الشرفة وقال:
"لا وقت لدى للدخول بمثل هذه المناقشات التي
لا طائل منها"
" ولو رفضت!! ماذا سوف يحدث؟ "
" لا خيار لديك جميله، لا خيار لديك "
شعرت بالرعب لكلماته، فقلت :

" وكيف يمكنك أن تخرجني من هنا؟ "

قهقه ضاحكا :

"هذا أسهل ما في الأمر، هل تكلمت مع أي أحد؟ "

"لا، لا عصام. أقسم لك، لم أخبر أي أحد بأي شيء "

"ولا حتى دكتور يوسف؟ "

شعرت بالهلع عندما ذكر يوسف. إذن، إنه يعلم كل شيء !!

ضحك عصام وهي يقول :

" أنا أعرف الكثير جميله، إياك وان تحاولي الكذب "

"لا، أقسم لك الدكتور يوسف لا يعرف أي شيء. لم انبس بكلمه لمخلوق "

"غدا أو بعد غد على الأكثر سوف تخرجين من هنا. جميله !! أكرر لا خيار لديك "

وتركني وغادر وأنا أتخبط بأفكاري .

× × × × ×

لم أذق طعم النوم هذه الليلة، وكلما شعرت بالتعب واستسلمت للنوم. كانت تطاردني الكوابيس كنت أتصبب عرقا ودفعت الغطاء من على جسدي ونهضت من السرير، وتوضأت وصليت. شعرت بعدها بالطمأنينة واستسلمت للنوم قليلا حتى أتى الصباح فنهضت مسرعه اقطع الغرفة ذهابا وإيابا، أترقب وصول روحيه بالإفطار. كانت لحظات ولكنها مرت علي دهرا كاملا وأنا انتظرها .

طرق الباب وفتح، كانت روحيه الوافدة. قطعت المسافة التي تفصلني عنها في خطوتين، وأمسكت صينيه الإفطار منها ووضعتها جانبا على المنضدة .

ارتسمت ملامح الذهول على ملامح روحيه، وبادرتني بالكلام :

" ماذا بك؟ لماذا كل هذا التوتر؟ "

" روحيه، هل يمكن ان اطلب منك معروفا؟ "

أومأت رأسها بالموافقة :

" نعم، إذا كان بمقدوري لن أتأخر "

"نعم بإمكانك، كل ما عليك هو إجراء مكالمة هاتفيه واحده "

" لمن؟ "

" لبنى ابنه خالتي، وسوف أعطيك رقم هاتفها "

كنت ارجوها بنظراتي، ترددت قليلا ثم أجابتني:

" نعم، سوف افعل. أعطيني الرقم "

" ولكن قولي لها أنني أريد رؤيتها اليوم "

انصرفت روحيه بعد أن أعطيتها رقم الهاتف .

كان الوقت يمر بطيئا وشعرت بالضيق والتوتر الشديد،

وخرجت لحديقة المستشفى وأنا أترقب وصول لبنى. لم أنتظر طويلا حتى جاءت لبنى، واقتربت مني تطبع قبله على خدي، وتهمس قرب أذني :

" ماذا بك؟هل أنتي بخير؟ "

"لا يمكنني الكلام الآن، الأفضل أن نتمشى قليلا . وسوف اشرح لكي كل شيء "

كنت أتلفت حولي خوفا من أن يتبعنا احد، وبعد أن انتهيت من الحديث معها. كانت لبنى في حالة صدمة، تنظر إلى بذهول شديد وهي تقول :

" لا يمكن أن يكون هذا صحيحا !! "

"أؤكد لك لبنى، أن كل ما قلته إليك هو الحقيقة الكاملة "

"كيف استطعت أن تحتفظي بهذا السر طوال هذه السنوات؟ "

"الأمر لا يتعلق بي وحدي، انا أخاف على أبني،

وأخاف من أن أفقده!! انا لا أهتم لحياتي، كل ما
يشغل تفكيري هو ابني فقط"
" وماذا عن أحمد؟ !! "
"احمد قام عصام بنصب شرك له، هو مهدد بدخول
السجن إذا لم يساعده"
تهدج صوتي، وتقطعت كلماتي الأخيرة، وبدأت
بذرف الدموع .
اقتربت لبنى منى وألقت بذراعيها واحتضنتني،
وقالت لي:
" سوف نجد حلا، لا تقلقي حبيبتي "
"لا يا لبنى!! لا أريد منك أن تتورطي بالأمر. أسمعيني
جيدا، سبب طلبي لرؤيتك اليوم هو يوسف، إذا
حدث لي أي مكروه سوف تعتنين به "

" لا!! لا حبيبتي، سوف تكونين بخير وتقومين أنتي
بالاعتناء به"
" لبنى، عديني ألا تقولي شيئا لأحد "
ترددت لبنى قليلا، ثم قالت: " وماذا عن يوسف؟
"لا، لا لبنى، لا أريد ليوسف أن يعرف شيئا. عصام
هددني بيوسف بطريق غير مباشر، والآن عديني
لبنى "
" أعدك حبيبتي "
وزادت لبنى من احتضاني .

نهاية الفصل

الفصل التاسع

ودعتني لبنى وغادرت، عدت بعدها لغرفتي راكضه كأن شياطين الأرض تطاردني .

أقفلت باب غرفتي بهدوء، واستلقيت على السرير أطالع سقف الغرفة. وأردت الحصول على قسط من الراحة فربما لن أتمكن من الشعور بالراحة أو الأمان عند عودتي للمنزل مع عصام .

ذلك المنزل الذي يحمل لي الكثير من الذكريات السيئة .

لم اعرف متى غفوت تماما، وعندما بدأت بفتح عيناي كان الصباح قد أطل من جديد، نهضت من السرير واقتربت من النافذة انظر للخارج مترقبة وصول عصام. عندما طرق الباب وفتح كانت روحيه هي الوافدة، سألتني بابتسامتها الهادئة :

"صباح الخير، كيف حالك اليوم؟ "

"صباح الخير روحيه، ألم يأتي أحدا لزيارتي اليوم؟"

" لا، على حد علمي لا "

تنفست الصعداء عند سماع إجابتها، لقد نجوت اليوم. كنت احدث نفسي .

ودعتني روحيه وهمت بالمغادرة، ولكني استوقفتها محدثة إياها :

" سوف أفتقدك روحيه كثيرا "

استدارت وهى تنظر إليّ نظره حانية :

" لماذا تقولين هذا الكلام؟! أنا لن أغادر "

وفتحت الباب وغادرت، وأردفت بعدها:

" لا، انا من سوف يغادر "

لم تمر سوى ساعة تقريبا، حتى عادت روحيه لتصطحبني لمكتب مدير المستشفى .

طرقت الباب وفتحته، عندما دخلت كان الدكتور

الفصل التاسع

فوزي مدير المستشفى جالسا على مكتبه ويتبادل الحديث مع عصام. وعند ما رأوني، قطع حديثهما على الفور، ودعاني دكتور فوزي للجلوس .

جلست على المقعد المقابل لعصام، وبادرني دكتور فوزي بالكلام :

"لقد تحسنت كثيرا جميله، وأصبحت بحال أفضل الآن، وسوف تخرجين اليوم وسوف أقوم بتحديد استشارات أسبوعيه لكي مع احد الأطباء لمتابعة حالتك "

وأعطى عصام بعض الأوراق، وقام عصام بتوقيعها.

وبعدها توجه لي بالكلام :

" اذهبي لجمع إغراضك "

فخرجت لأجد روحيه تنتظرني ورافقتني لغرفتي .

دخلت اجمع ملابسي وألواني ورسوماتي، وسألتني روحيه عما يحدث معي. وأجبتها بأنني سأخرج اليوم. واكتسى وجهها بملامح الحيرة والدهشة !!

"لماذا لا تبدين سعيدة؟! ستخرجين، وسوف تستعيدين حياتك السابقة وابنك "

لم أرد واكتفيت بالصمت، وجمعت أغراضي .

كان عصام ينتظرني في السيارة أمام المستشفى، وودعت روحيه بدموع صامته .

امسكني عصام من يدي وفتح باب السيارة، وجلست على المقعد الخلفي بجانب عصام بينما كان جمال مساعده الشخصي يقود السيارة وهو ينظر إلى في المرآة الأمامية تلك النظرات المخيفة، وأقشعر جسمي لنظراته، وأشحت بوجهي أطالع الشوارع من نافذتي .

كم تغيرت المدينة !! ٥ سنوات لم أرى أي شيء

الفصل التاسع

خارج سور المستشفى.

وصلنا للمنزل وفتح عصام الباب، استقبلتني روحيه بترحيب شديد وطبعت قبله على خدي وأجلستني على مقعد بغرفة الاستقبال.

تأملت المنزل، كان يبدو مختلفا كان منزلا مثاليا وتصميمه حديث الطراز، راقي الذوق كل ما فيه ينطق بالثراء الفاحش، قطعت الصمت بيننا:

" أين يوسف؟ أريد أن أراه "

نظر كل منهما إلى الآخر نظره طويلة، قبل أن تجيب توحيده:

" جميله يجب أن نتكلم أولا "

رفعت رأسي انظر إليها بصمت، فتابعت قائلة:

"أنتي تعلمين انه عندما تركت المنزل، كان يوسف لا

يبلغ من العمر سوى عامين فقط. وهو الآن في السابعة من عمره، بالنسبة له أنا الأم الوحيدة التي يعرفها "

هوى وقع كلامها عليّ كالصاعقة، فانتفضت:

" ماذا تقولين؟!!"

أمسكت يدي وأجبرتني على الجلوس من جديد:

"لن نستطيع أن نخبره الآن بالحقيقة، وسنخبره بالتدريج حتى لا يصاب بصدمة "

كنت أرتجف كحيوان جريح، أردت الهرب وركضت لأفتح الباب، ولكن عصام كان أسرع منى ومنعني وطلب من توحيده أن تأخذني لغرفتي.

× × × × ×

دخلت الغرفة بخطوات ثقيلة واستلقيت على السرير، سألتني توحيده إذا كنت أحتاج لشيء ولكنى لم أرد عليها، وتقوقعت على نفسي وأخذت

الفصل التاسع

أتأمل الغرفة والتي لم تتغير كثيرا، وبدأت الذكريات تطاردني .

تذكرت عندما دخلتها لأول مره كعروس لعصام، لم يكن حفل الزفاف حفلا كبيرا بل كان بسيطا حرصا من عصام على مراعاة شعور توحيده .

عندما دخلت هذه الغرفة في اليوم الأول مرتدية ثوب الزفاف وجلست على كرسي طاولة الزينة، وبدأت أزيل الدبابيس التي كانت ترفع شعري فانسدل شعري بحريه على كتفي. وجلست جامدة دون حراك أحدق إلى المرآة .

كان من الممكن أن يكون أسعد يوم في حياتي. لطالما حلمت بهذا اليوم لو أن يوسف هو من كان بجانبي، ولكن لا مجال للأحلام بعد الآن. لقد

رفضني، ولم يصدقني. حتى أنه رفض الاستماع إليّ شعرت وقتها أنني أصبحت جسد بلا روح .

جفلت عندما فتح عصام الباب، وتقدم مني في خطوه واحده وأحسست بلسعة راحة يده على خدي جمدت عيناي ودارت الغرفة بي .

رفعني بين ذراعيه وكأنني طفلة، ثم حملني إلى السرير وأحسست بأني بدأت أرتجف وبأن معدتي تعانى من آلام الغثيان الحادة، فهمست:

" أرجوك توقف، أظنني سأتقيأ "

اكتفى بأن قال لي :

" استلقي هادئة "

وظل يقترب مني، لم يراعى خوفي ولا ما أشعر به من تعب أو إرهاق، ولم يحاول أن يطمئنني .

وعندما انتهى،تركني وغادر الغرفة وأنا أشهق بالبكاء .

الفصل التاسع

بعد هذا اليوم لم أعد أراه كثيرا، كان دائما مشغولا وبعدها بدأ يقسم وقته بيني وبين توحيده، وأصبحت الليالي التي يقضيها مع توحيده هي الوقت الوحيد الذي اشعر فيه بالراحة والطمأنينة .

نهضت من السرير مسرعة، راغبة في طرد ذكرياتي السيئة التي طاردتني منذ اللحظة الأولى لدخولي الغرفة .

سمعت ضجيج بالخارج، فاقتربت من الباب بهدوء وفتحته .

فرأيت يوسف وهو يركض نحو توحيده وهي تستقبله بذراعين مفتوحين، ويحتضنها ويبدو سعيداً، وهي تسأله عن يومه الدراسي .

وهو يجيبها بسعادة بالغه بأسلوبه الطفولي الجذاب

وضحكاته المرحة التي ملئت المنزل بالسعادة والحياة، ويقص عليها أحداث يومه ويكلمها عن أصدقائه ومعلمته .

ركضت للخارج متلهفة لأن أضمه بشوق، وان أتلمس وجهه .

عندما رآني وأنا أتجه نحوه، زاد من تشبثه بتوحيده وبدا خائفا مني، وسألها :

"من هذه يا أمي؟!! "

نهاية الفصل

الفصل العاشر

عندما رأيت ابني أمام عيناي، شعرت بأنني حلقت بعيدا لألمس النجوم في عليائها لأسقط بعد ذلك على الأرض لأصبح أشلاء، هكذا شعرت عندما دعاها أمي!!

كان خائفا ومرتعباً مني، وزاد تشبثه بها وسألها قائلا :

" من هذه يا أمي؟ "

لم أحتمل . . . كنت كالمصدومة!! لطالما تمنيت هذا اليوم الذي أراه فيه، وان يجمعنا بيت واحد ولكنى حرمت من أقل الأشياء!! أن أحتضنه وأقبله، أن أشم رائحته وان أسمع كلمة أمي من بين شفتيه .

انهمرت دموعي بغزاره على خدي . . . أردت أن أصرخ وان أركض وأخذه بين ذراعي، وأن أقول له الحقيقة، أنا أكون والدتك .

ولكن لساني عجز عن النطق وقفت متجمدة للحظات

ثم عدت لغرفتي بخطوات مثقله .

ارتميت على السرير أبكى كل ألامي وأحزاني . . .

كنت أبكي بحرقه ومرارة تماثل مرارة كل عذابات السنين الماضية .

لم أعلم متى غفوت تماما . . . عندما استيقظت شعرت بأن جفوني ثقيلة، وألام رهيبة في رأسي .

جررت نفسي لأنهض من السرير ونظرت في المرآة وتأملت نفسي قليلا ،

نظرت إلى وجهي الشاحب وشعري المتشعث وعيناي المنتفختان من جراء بكائي الشديد

أردت تحسين مظهري قليلا حتى لا أخيف ابني ويزداد ابتعادا عني . . . غسلت وجهي وقمت بتسريح شعري، واقتربت من الباب وفتحته بهدوء لأتطلع لخارج الغرفة .

كان المكان يعمه الهدوء . . . فخرجت لأستكشف

الأمر .

أخذت أتجول في أنحاء المنزل، فوجدت توحيده تشاهد التليفزيون . . . جلست على المقعد المقابل لها، أردت سؤالها عن أبنى ولكنى ترددت . . . بعد لحظات استجمعت شجاعتي ورفعت رأسي لأنظر إليها:

" أين يوسف؟ "

أجابتني دون أن تنظر إلي: " نائم، هذا هو وقت قيلولته "

وأردفت بعدها: " وعصام في الشركة . . . وسوف يتأخر"

طال الصمت القاتل بيننا عندما دق جرس الباب، ونهضت توحيده لتفتحه .

لم تمر سوى لحظات وبعدها نادتني توحيده . . .

فنهضت لتصطدم عيناي مباشرة بيوسف أمامي !! خطا إلى الداخل وهو يحدق إليّ بينما كنت انظر إليه بذهول تام!! أخذت توحيده تقوده إلى غرفه الاستقبال، وجلس على الأريكة وتركتنا وغادرت.

اقتربت من الباب لأتأكد من مغادرتها ثم عدت إليه وأنا غاضبه:

" ما الذي أتى بك إلى هنا؟ "

نهض من مقعده واقترب منى، قال:

"ميلا، سامحيني لابتعادي عنك الأيام الماضية . . . ابنتي كانت مريضه، وليس لها أحد غيري. عندما عدت تفاجأت بأنك غادرت المستشفى . . . كنت كالمجنون . . . لا احتمل ضياعك منى من جديد "

كان يتكلم بيأس قاتل، ابتعدت عنه واقتربت من النافذة . . . كانت محاوله يائسة منى لإخفاء مشاعري وشوقي الجارف له .

الفصل العاشر

استدرت لأنظر إليه مره أخرى وأسرعت الخطى إليه:

" لقد انتظرتك طويلا!! اشتقت إليك كثيرا "

"كان هذا أصعب ما اضطررت لفعله، سامحيني. ميلا، لقد هاتفت لبنى ابنة خالتك ولقد قابلتها، ولقد أخبرتني ما قمت بإخبارها إياه"

شعرت بالهلع عن سماع كلماته، وابتعدت عنه .

" يوسف، لا أريدك أن تتورط بالأمر "

" أنا متورط بالفعل "

" لا، يمكنك الابتعاد ونسيان الأمر "

"لا يمكنني نسيانك!! أرجوك، أفهميني!! لا يمكنني. والآن سوف تقومين بإخباري بكل شيء بالتفصيل"

تجمعت الدموع في عيناي وازداد تنفسي صعوبة :

" لا ، لن أخبرك شيئا "

"إذن سأضطر لأن أذهب وأقابل زوجك، وأجابهه بالحقيقة كاملة"

" لا. . .لا. . .لا تفعل، أرجوك لا تفعل "

" إذن أخبريني كل شيء "

" لا يمكنني هنا، لا استطيع "

"سوف اطلب من لبنى أن تأتى لزيارتك، وتجد عذر لإخراجك من هنا"

أومأت رأسي بالموافقة .

"والآن، سوف أصرخ وأقوم بطردك أمام توحيده. لأنها سوف تخبر عصام بمجيئك اليوم"

صرخت وأنا أنظر إلى يوسف بغضب مصطنع، وأنا أهتف :

"أخرج . . . أخرج حالا، لا أريد رؤيتك مره أخرى "

وفتح يوسف الباب وخرج مسرعا بينما توحيده كانت تنظر إليّ نظرات حائرة .

الفصل العاشر

عدت لغرفتي مترقبة قدوم عصام، ولم يمر الوقت طويلا حتى فتح باب غرفتي واطل عصام من الباب بقامته الطويلة .

" ألن تشاركينا العشاء؟ "

أجبرت نفسي على الابتسام .

" نعم، بالتأكيد "

" سمعت بوجود ضيف عزيز أتى لرؤيتك اليوم !! "

"نعم، الدكتور يوسف. ولكنني قمت بطرده خارجا، وأخبرته بعدم رغبتي في رؤيته مره أخرى "

" من الجيد إنك لا زالت تتمتعين ببعض التعقل "

ابتسمت له ابتسامه هادئة، وذهبت لغرفه الطعام .

بعد العشاء تلقى عصام مكالمة هاتفية، وبعد أن انتهى منها، اخبرني بأنها لبنى أبنه خالتي، وأنها ستحضر

غدا لزيارتي، كنت أشعر بالاضطراب الشديد وخائفة من أن يكتشف الأمر.

قضيت ليلتي الأولى بهذا المنزل والقلق قد عصف بي، ولم أتمكن من النوم ولا الجلوس هادئة أبدا.

كنت اقطع الغرفة ذهابا وإيابا حتى أطل الصباح .. انتظرت حتى غادر عصام المنزل وبعدها نهضت وخرجت من الغرفة، ولم تكد تمر لحظات وأنا أحدق إلى الساعة أترقب وصول لبنى.

لم تمر سوى ساعة حتى دق جرس الباب ونهضت توحيده لتفتح وتبعتها لم يعد بإمكاني البقاء ساكنه.

كانت لبنى هي الوافدة صافحت توحيده وأسرعت إليّ واحتضنتني، دعوتها للجلوس بينما ذهبت توحيده لتعد بعض الشاي.

"جميله!! يوسف هاتفني ... ويريد رؤيتك اليوم لأمر هام "

الفصل العاشر

" اعلم حبيبتي . . . لقد أتى أمس إلى هنا "

اكتسى وجه لبنى بالذهول وعدم التصديق.

"نعم، يجب أن نخرج حالا. تكلمي مع توحيده لتأذن لي بالخروج معك"

نهضت لبنى وتكلمت مع توحيده بعض الكلمات

كانت توحيده تنظر إليّ نظرات تحمل معنى الشك، واكتفت بالقول:

" لا مانع . . . عصام لن يمانع، ولكن لا تتأخري "

خرجنا مسرعتين من المنزل وقادت لبنى السيارة وأوصلتني إلى أحد المطاعم . . . حيث كان يوسف بالداخل بانتظاري !!

نهاية الفصل

الفصل الحادي عشر

كنت أتلفت حولي بقلق وأنا أخطو لداخل المطعم، وكنت أجول بنظري في المكان حتى رأيت يوسف يجلس على طاوله بعيده ومنزوية في المطعم : وهو يحدق إلى ساعته بقلق. اقتربت منه بهدوء وجلست على المقعد المقابل، كان صوته قلقا وهو يقول :

"لماذا تأخرت؟ لقد شعرت بالقلق الشديد . ولماذا تبدين شاحبة هكذا؟"

"لم أنم جيدا ليله أمس،ولذلك أشعر ببعض الإرهاق"

امتدت يده وأحاطت بيدي . . . كانت يده دافئة وثابتة فوق يدي المتجمدة، بينما أصابعه تطبق على أصابعي بتملك وهو يؤكد لي بصوته العميق:

"اهدئي حبيبتي . . . أعدك أنني سوف أحميك دائما أنتي ويوسف الصغير، وألا يصيبك أي مكروه أبدا.

والآن، يجب أن تروي لي كل شيء "

بدأت أسرد له كل شئ من البداية.

"عندما تزوجت من عصام، لم أشعر بالحب نحوه. كان عصبي المزاج ومتقلب للغاية . . . ولكنه يتحول لحمل وديع أمام توحيده!! توحيده عاملتني كابنتها ... دعمتني وعاملتني بحنان وود وأنا أحببتها حقا "

كان يوسف ينصت إلى بتركيز شديد، ولكنه قاطعني :

"هناك شخص خلفك مباشرة!! يحدق إليك بطريقه مثيره للريبة "

فالتفت ورائي لتتقابل عيناي مع صاحب العينان الرماديتين . . . وسام !! فاستدرت بسرعة لأنظر ليوسف من جديد . . . وأنا أردد كالمسحورة:

" انه وسام!!"

الفصل الحادي عشر

اعتلت وجه يوسف نظرات الغيرة والشك :

" ومن يكون وسام هذا ؟ "

ترددت قليلا قبل أن أجيب :

" لقد كان أستاذي بالجامعة "

"ولماذا ينظر إليك بهذه الطريقة الغريبة ؟ "

كنت أتكلم بتلعثم :

" لقد سبق وتقدم لخطبتي "

اتسعت عيناه من الدهشة وهو يقول

" ألم يكن يعرف بأنك متزوجة ؟ "

"لا، أردت الاحتفاظ بهذا الجانب من حياتي، ولم أرد أن تتغير نظرة الجميع لي عندما يعلمون بأنني الزوجة الثانية لرجل يكبرني بالعديد من السنوات. وفوجئت يوما بقدوم وسام لمنزلي وقابلته توحيده، وظن أنها

والدتي . . . وعندما صارحها برغبته في الارتباط بي، أجابته بلباقة بأنني مخطوبة بالفعل لأحد أقاربنا. ولكنه التقى وهو في طريق الخروج من المنزل بعصام . . . وهو قام بالتعريف عن نفسه بأنه زوجي. لم انس مطلقا تلك النظرة التي رأيتها على وجهه، كانت مزيج من الغضب والحزن الشديد "

"هيا لنخرج من هذا المكان . . . لا أحتمل فكرة وجودك معه في مكان واحد " كان هذا يوسف .

"لا يوسف!! لا نمتلك الكثير من الوقت، أسمعني جيدا "

وبدأت أحكي له عن كل ما مر بي منذ خمس سنوات .

× × × × ×

عندما تخرجت من الجامعة كنت أشعر بالملل، وطلبت من توحيده أن تقنع عصام بان يسمح لي

الفصل الحادي عشر

بالعمل في شركة تصنيع الأثاث التي يمتلكها ضمن مجموعه شركات ضخمه .

بالفعل وافق والتحقت للعمل بالشركة، وبدأت بوضع التصاميم للأثاث وكانت ناجحة جدا ولاقت رواجا كثيرا . . . وفى يوم، بعد عودتي من العمل كنت قد نسيت بعض تصاميم لخط إنتاج جديد للأثاث، وقررت العودة للشركة لكي احضرها لأنهى العمل . . . عندما دخلت الشركة، كانت الأنوار مضاءة، شعرت بالرعب واعتقدت بوجود لص .

واقتربت بهدوء من مكتب عصام وعبر باب الغرفة المفتوح . . . رأيت عصام وهو يتكلم مع أحمد أخي عن وصول شحنة الأخشاب المتوقع وصولها، والتي كانت تحمل كميه هائلة من المخدرات وعن أسلحة

من المتوقع أن تدخل البلاد عبر الحدود الغربية.. وعندما سأله احمد عن ميعاد التسليم، أخبره عصام بأنه لا يعلم وانه ينتظر أوامره من الرجل الأول، والذي يطلق عليه لقب الكونت . . . شعرت بالصدمة والرعب الشديد!! ووضعت يدي على فمي لأكتم صرخة كادت تفلت مني، وفجأة أطبقت يد خشنه على فمي تكتم أنفاسي وتلقيت ضربه على رأسي . . . ففقدت الوعي على الفور.

عندما استيقظت، أحسست بألم رهيب في رأسي وبآلام متفرقة في جميع أنحاء جسمي . . . كان الظلام يحيطني، وشعرت بشلل في أطرافي، ثم سمعت صرير الباب وسمعت أصوات أقدام تقترب مني . . . كان عصام ومعه توحيده وجمال مساعده الشخصي، كان أول ما تبادر لذهني عندما رأيت توحيده انه أختطفها أيضا . . . ركضت نحوها وأنا

الفصل الحادي عشر

ألهث وقلت لها :

"توحيده عصام يستغلك هو . . . هو يقوم بأمور غير مشروعه، يتاجر بالمخدرات والأسلحة "

قهقهت توحيده: " يبدو أنك تشعرين بالمرض "

" لا، أؤكد لك إنها الحقيقة . . . أقسم لك "

شاركها عصام وجمال الضحك .

عندما قال عصام :

" جميله!! أتعلمين من هو الكونت ؟ "

" أنا هو الكونت "

كانت هذه توحيده !!

هوى وقع كلامها عليَّ كالصاعقة وأخذت انتفض وغطيت أذني بيدي وأنا أصرخ حتى فقدت الوعي ثانيه .

عندما استفقت بعدها . . . قام عصام بمنع الطعام عني لأيام حتى شعرت بالوهن والضعف الشديد. قاموا بإحداث جروح قطعيه بجميع أنحاء جسمي وهددني عصام بأنني إن تكلمت فانه سوف يقتلني.. أنا وأبني، وأدخلني المستشفى. وطوال الخمس سنوات الماضية حملت هذا السر بداخلي.

× × × × ×

اغرورقت عينا يوسف بالدموع عندما انتهيت من الكلام . . . أحاط يدي بيديه :

"لقد تعذبت كثيرا حبيبتي!! ويجب أن ينتهي كل هذا الآن. لقد تكلمت مع احمد قبل قدومي لمقابلتك . . . وهو وعدني بأن يساعدنا، كما تكلمت مع صديقي ادهم وهو ضابط وأكد لي أن عصام تحت المراقبة بالفعل "

"لا !! لا يوسف، لا أريد أن تتورط بالأمر. والآن

الفصل الحادي عشر

يجب أن أغادر"

نهضت مسرعه وركضت للخارج وهو يتبعني. وامسك يدي متجها للسيارة وفتح باب السيارة وجلست بجانبه.. وقبل أن يشغل المحرك، اقتحم مجهولان السيارة وقاموا بضرب يوسف على رأسه وأنا أصرخ... ولكن واحد منهم وضع منديلا على فمي، فاستسلمت لسبات عميق.

فتحت عيني بصعوبة وأنا أحس بآلام متفرقة في جميع أنحاء جسمي، وحاولت أن أجلس فاجفلني الألم.. بحثت عن يوسف وجدته ملقي على الأرض بجانبي، ناديته :

" يوسف، يوسف . . . هل أنت بخير؟ "

كان يتكلم بصعوبة، يبدو أن الضربة آلمته كثيرا :

" نعم، أنا بخير "

كانت الأرض تحت قدمي شديدة البرودة ... حاولت أن أنهض دون أن أصدر صوتا واتجهت نحو الشرفة... ولاحظت أن الأبواب الزجاجية المفتوحة التي تؤدى للشرفة مزوده بقضبان حديديه .

كنت غارقة في أفكاري حتى أنني لم أسمع الضجيج بالخارج . . . عدت إلى يوسف مسرعة، كان يتأوه من شدة الألم ويمسك برأسه .

سمعت بعدها باب الغرفة يفتح ودخل عصام ويتبعه جمال ورجلان آخران، وقال :

" أرى أنك أستعدى وعيك جميله!!"

ونظر إلى يوسف، وقال :

" وأخيرا . . . التقينا يا غريمي !!"

سألته وأنا أرتجف :

الفصل الحادي عشر

" لا تؤذيه أرجوك، اجعله يرحل "
وجه عصام فوهة مسدسه نحوى قائلا :
"ودعي حبيبك . . . مع اننى اضمن لكي انه سوف يلحق بك قريبا "
وبرقت عيناه ببريق وحشي .
كان على وشك إطلاق النار عليّ . . . عندما دفعني يوسف بقوه لأصطدم بالجدار وأسقط على الأرض.
وانطلق العيار الناري مرددا صداه العنيف لتستقر الرصاصة بصدر يوسف !!
زحفت على ركبتاي واقتربت من يوسف . . . ووضعت رأسه على قدمي وأنا أكاد أنهار من شدة البكاء، وهو يهمس لي:
" أحبك ميلا . . . أنا أحبك "

بعدها سمعت صوت لتبادل إطلاق نار كثيف ...
وحاول عصام ورجاله الهروب ولكن الشرطة قد طاردته وتم إطلاق النار عليه وقتل .
كان احمد أخي من ارشد الشرطة للمكان . . .
وأقترب مني وهو ينظر إليّ بحزن، وقال:
" سامحيني أختي "
واقتاده رجال الشرطة... ورافقت يوسف للمستشفى وأنا أكاد أموت قلقا عليه.

نهاية الفصل

الخـاتـمـه

اجلس الآن بالحديقة . . . ولكن ليست حديقة المستشفى !!

وإنما حديقة منزلي الجديد ... أنا ويوسف، وجميله ويوسف الصغيرين .

تحققت أروع أحلامي!! أحيا مع من أعشق وبجانبي ابني .

لم يتقبلني في البداية . . . ولكن بالتدريج وبمزيد من الصبر، تقبلني أخيرا . . . وعلم باني والدته الحقيقية حتى انه صار يدعوني أمي .

كنت أتأمل يوسف وجميله وهم يركضون وصوت ضحكاتهم تعلو في الحديقة فتزداد جمالا ورونقا وتألقا ... عندما دخل يوسف من الباب صائحا :

" مرحبا أيتها الجميلتان "

فالتفت إليه وأنا أبتسم :

" من تعني دكتور يوسف؟ "

اقترب مني فاتحا ذراعيه واحتضني ... واخذ ينقل نظره بيني وبين جميله الصغيرة .

وركض يوسف وجميله هم يهتفون :

" أبي . . . أبي "

قبلهم يوسف وحمل جميله الصغيرة بين يديه :

" كيف حالك أميرتي الصغيرة؟ "

اتسعت عيناها وأضاءت ببريق من الدهشة والسرور صائحة :

" أنا يا أبي ... أميرتك !! "

تلفت يوسف حوله بحركة كوميديه :

" وهل هناك أميرات غيرك هنا؟ "

ضحكت جميله وانزلها يوسف لتِركض لتلعب مع يوسف، بينما التفت يوسف إليِّ، وقال :

الخـــاتـمـه

"وأنتي أميرتي الغالية!! ما رأيك بعطله طويلة على الشاطئ؟ "

وزاد في احتضاني :

"لم أنفرد بك من يوم زفافنا كثيرا . . . أنتي دائما مشغولة بالطفلين !!"

قهقهت ضاحكه :

" يبدو أن هناك من يشعر بالغيرة هنا !! "

كان ينظر إلى بشوق جارف :

"أنا أغار من الهواء الذي تتنفسيه... ومن نسمة الهواء التي تلامس وجهك "

قاطعته :

" يكفي . . . يكفي!! أنت غيور بالفعل !!"

اخذ يقبل يدي قبلات رقيقه :

وهم أنثى ... ""

"نعم، لأني أعشقك كثيرا. وغيرتي بقدر حبي لك " فاض من عينيه الحنان وقبلني على جبهتي .

"لازالت لا أستطيع أن أصدق انك معي الآن بين ذراعي، لي . . . لي وحدي، وكأنني في حلم"

"إذن، سوف أقرصك لتتأكد من انه حقيقة وليس بحلم "

أبتعد عني وهو يركض وأنا أركض ورائه وأردد:

" لن تستطيع الهرب منى "

توقف يوسف واقترب منى متخذا وضعيه الدفاع وكأنه على وشك خوض مباراة ملاكمه !!

كاد قلبي يتوقف من الضحك، ولم يستطع يوسف أن يتمالك نفسه كثيرا وشاركني الضحك .

× × × × ×

انعكست أشعه الشمس الذهبية على صفحة المياه لتتلألأ ببريق يخطف الأنفاس والرمال الذهبية

الخـاتـمـه

الناعمة المثيرة والنخيل الذي تناثر على الشاطئ لتتضافر الطبيعة وتشكل لوحه فنيه رائعة الجمال .

بينما كان يوسف وجميله الصغيرين يتشاجران حول من صاحب القلعة الأجمل والتي يتشاركون مع يوسف في بنائها من الرمال .

وأنا امسك بين يدي أطراف خيط الطائرة الورقية وأنا أركض بسعادة حيث تتلاعب بها الرياح ... شعرت بأنني عدت طفله من جديد، وأنني لا زالت أحيا ... وتذكرت أمنيتي بأن أصبح طائرا صغيرا، فرفعت بصري للسماء أراقب الطيور .

وأقترب منى يوسف وهو يشاطرني الابتسامة ويحيطني بذراعيه، فتركت أطراف الخيط من بين يدي لتنطلق الطائرة حرة في السماء .

وهم أنثى ... "

" هل سامحتني ميلا؟ "

واخفض عيناه إلى الأرض.. أحطت عنقه بذراعي:

"نعم، سامحتك من كل قلبي. عندما رأيتك وأنت مصاب بين يدي ... شعرت للحظات بأنني من الجائز جدا أن أفقدك!! انتهت كل آلامي وعذابي ليتبقى حبك وحده بقلبي "

وضع يده تحت ذقني وهو يهمس :

" فديتك بروحي "

وفجأة تلاشى صوت الريح ليحل مكانه صوت آخر.. انه صوت خفقان قلبه، نبضاته القوية المنتظمة التي أخذت تداعب مشاعري محدثه في نفسي اضطراب شديد.

وشعرت برأسه يميل نحوى والتقت نظراتنا واخد يداعب عنقي وأذني بشغف، وتوقفت أنفاسي وأحسست أن عظامي بدأت بالذوبان ... ليطبع قبله



طويلة على شفتاي أودع فيها كل حبه وشوقه الجارف إليَّ، وبادلته القبلة بقوة اكبر . . . رفع رأسه ليتيح لي التقاط أنفاسي، وامتدت يده ليلمس يدي ويضعها على صدره النابض القوى وهو يهمس :

" فديتك بروحي . . . يا حبيبه الروح "

النهاية